

بمكر بن سعيد أعوشنة

القرآن

ومذهب داروين

دراسة نقدية لنظرية التطور وأصل الإنسان
عند المادويين من وجهة الفكر القرآني

885



بکیر بن سعید اُعوشت

القرآن

ومذهب داروین

دراسة نقدية لنظرية التطور وأصل الإنسان
عند الداروينية من وجهة الفكر القرآني

الطبعة الأولى

1404 هـ - 1983 م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

شأنا

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

هذا الكتاب هو من كتبنا التي نكتبها جميعاً
حيث أننا نعلم أن كل واحد منّا يكتب ما يشاء

تأليف الأستاذ

1952 - 1951

رقم الايداع القانوني

39292

و. قسنطينة

الإهداء

إلى أبيي يعقوب يوسف بن إبراهيم
الوارجلاني وأبي عمار عبد الكافي ومالك

بسم الله الرحمن الرحيم

وإن سر من أثار وأرواح النفوس والبرية ،
إلى فلسفة إسلامية صحيحة قائمة على القرآن
الكريم ، التي أعطى الجواب الحاسم لمشكلات
الوجود والمضارة المثالية التي يشهدها الإنسان
في كل زمان ومكان ...

إلى هؤلاء المجاهدين أهدي هذه المقطعات
التواضعة .

الاهـداء

الى أبى يعقوب يوسف بن إبراهيم
الوارجلانى وأبى عمار عبد الكافى ومالك
بن نبى ...

والى كل من أنار وأرشد النفوس الحائرة ،
الى فلسفة إسلامية صحيحة قائمة على القرآن
الكريم ، الذى أعطى الجواب الحاسم لمشكلات
الوجود والحضارة المثالية التى ينشدها الإنسان
فى كل زمان ومكان ...

الى هؤلاء المجاهدين أهدي هذه الصفحات
المتواضعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » سورة طه : 114 .

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » سورة
البقرة : 30 .



« وقد تقودني المقارنة والتماثل إلى خطوة أخرى : وهي
الاعتقاد بأن كل الحيوانات والنباتات قد انحدرت من أصل
بدائي واحد . ولكن المقارنة قد تكون دليلا خادعا » (داروين)
من خلاصة أصل الأنواع ، ص 771 .

(1) البداية في الاصطلاح السياسي : يقصد بها : التحرر من النظرة
التيهية إلى الوجود ومحاكم الأنساب - والدولة تعتمد على الجانب المادي
الخالص لتصبح شرايتها في هذه الحالة .

المقدمة

مما لا شك فيه أن النزعة العلمانية المادية اللادينية (I) ، قد استهوت كثيرا من شباب العالم الاسلامى فى عصرنا هذا ، فأمسوا تحت وطأتها دون نقد وتحليل لعلاقتها الخفية ، حيث تركت سلوكا شعوريا وغير شعورى فى تفكيرهم ، وهذا الاستلاب المذهبى غالبا ما يناقض أسس وأصول سلامة عقائدنا الدينية ، التى بينها القرآن الكريم ، والذى أعطى الجواب الحاسم لمشاكل الوجود والانسانية .

ولا جرم أن هذه النزعة الجديدة ، قد دفعت أكثر المسلمين على تقبل الثقافة العلمانية ، والتسليم بها مسبقا على صلاحيتها بدعوى التحرر من عقال التخلف الفكرى والاقتصادى والاجتماعى .

الا أن الامانة العلمية ، تشترط على الباحث النزيه أن ينظر الى المدارس المعاصرة المختلفة والمتباينة فى اتجاهاتها الفكرية والاقتصادية والسياسية بروح نقدية قائمة على

(1) العلمانية فى الاصطلاح السياسى ، يقصد بها ، التحرر من النظرة الدينية الى الوجود ومشاكل الانسان - والدولة تعتمد على الجانب العلمى الخالص لتسيير شؤونها فى هذه الحالة .

الدليل والبرهان ؛ لان البرهان لا يرد الا بمثله ، أو أمضى على الشبهات المفتعلة التي استغلها الخصم ، للتشكيك في سلامة وصحة رسالة الرسول (ص) .

ومن هنا استغلت النزعة العلمانية المادية ، نظرية داروين في التطور وأصل الانواع ، لتنفث سمومها الالحادية في الفكر البشرى ، بدعوى الموضوعية العلمية . رغم أن هذه النظرية لا تزال محل جدال ونقاش بين العلماء ؛ ولم تنتقل بعد الى حقيقة علمية ، ثابتة ، ولعل أقوى شاهد على هذه الحقيقة التي ذكرناها في هذا المجال ما جاء في الفكر الماركسي لبودوستنيك وياخوت فقال : « ظهر مذهب العالم الطبيعي الانجليزي تشارلز داروين (1809 - 1882) حول أصل الانواع للنباتات والحيوانات . ان هذا المذهب يسمى الداروينية . لقد أنزل داروين ضربة ساحقة بالنظرية المتافيزيائية المضادة للديالكتيك الى الطبيعة الحية . فبرهن أن جميع النباتات والحيوانات والانسان قد ظهرت جميعها نتيجة لتطور استغرق ملايين السنين » (2) .

ونحن بدورنا سوف نناقش أصول المدرسة الداروينية بالمنظور الاسلامي الذي فسر مشكلة الخلق .

ومهما يكن من أمر ، فان هذه الدراسة المنهجية ، سوف تقوم بشرح وتحليل ونقد الدلالات المختلفة حول مفهوم

(2) انظر : عرض موجز للمادية الديالكتيكية لبودوستنيك وياخوت - دار
التقدم ، موسكو .

التطور الذى ورد فى الدراسات العلمية . وبعض الآيات
القرآنية ، التى أشارت الى هذه الظاهرة المعقدة ، والمحت
اليها ، كقوله عز وجل « مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا » سورة نوح : 13 - 14 .

ولكن علينا أن نشير هنا الى أن القرآن الكريم ليس كتابا
مدرسيا بالمفهوم الاكاديمي ، ولا يمكن أن يفصل كل المعارف
العلمية تفصيلا كليا . ولكنه قد يلمح اليها ، وتفهم تلك
النصوص من خلال التطور العلمى ، والا سيفقد منهجه
الروحى المتمثل فى ارشاد وهداية البشر قاطبة . ومن هنا
نفهم أن القرآن الكريم تقوم فلسفته على الايمان بوجود الله
عز وجل ووحدانيته والدعوة العامة للاسلام . ولقد خاطب
الناس جميعا ، على اختلاف مداركهم العقلية لادراك هذه
الحقيقة ، وهناك سمة تاريخية أخرى ، تؤكد أن القرآن
الكريم ، قد مزق قديما وحديثا حجاب التحديات ، فلم يتمكن
أحد من عباقرة الفكر ، والادب ، والتاريخ ، والعلم ، أن
يرد التحدى القرآنى الى هذه اللحظة ، فهنا يكمن سر خلوده
واعجازه الى الابد ، ولقد قال الله عز وجل : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ،
وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعْلِلَتْ لِلْكَافِرِينَ » (البقرة : 23 ، 24) . لذلك نلاحظ ، أن
الاكتشافات العلمية وتقدمها ، قد بينت صحة وسلامة رسالة
محمد (ص) وشدت من عضدها . وهذه القرائن التى
ذكرناها ، أكدت بأدلة قطعية ، أن القرآن الكريم صادر عن

عقل غير انساني ، لان الطبيعة البشرية مهما بلغت من درجة الكمال ، فهي لا تخلو من بعض الاخطاء اللغوية والعلمية .

وخلاصة القول نقول ، لا يمكن لأي إنسان عاقل مسلم ان يرفض الفكر الاسلامي . فلا سبيل الى نهضة انسانية سليمة الا عن طريق هذا المنهج السليم .

والدين الاسلامي بخصائصه الحيوية وحركته الدائمة المتطورة في الاجتهاد ، ثم عدالته الانسانية العالمية الشاملة ، تجعله يتحدى التجارب الانسانية عبر حضارتها التي فشلت في حل مشاكلها المذهبية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ولا أدل على ذلك عالم اليوم الذي يعيش في أزمة حادة نتيجة الصراع بين الاديلوجيات المتناقضة على مستوى الافراد أو المجتمعات أو الحكومات .

ولا نريد في هذه المجالة التوسيع في هذه المنطلقات الفكرية أكثر من هذا .

ولعل القارئ الكريم سيجد ضالته المنشودة في هذه الدراسة المبسطة التي توضح المدرسة الداروينية ، ثم القاء أضواء اسلامية عليها . لتكون الرؤية واضحة الى جمهرة القراء من خلال منهج اسلامي ، والله ولي التوفيق .

غارداية : يوم السبت 11 ذو القعدة 1403 هـ .

الموافق لـ : 20 أوت 1983 م .

الاستاذ بكير بن سعيد اعوش

المدخل العام الى البحث

ان الأمر الأساسى ، الذى أرجو تحقيقه من وراء كتابة هذه الدراسة الميسرة ، التى سميتها « القرآن ومذهب داروين » أن تكون قائمة على العرض والتحليل والنقد المنهجي مع تقييمهما من الزاوية الاسلامية ، لتزيل كل غموض وإبهام حول هذه النظرية ، التى تركت بصمات قوية وحادة فى الفكر المعاصر . هناك بعض الناس يعتقدون أن المذهب الداروينى مذهب مادى خالص ، يدعو الى الإلحاد ، ويهدم كل الأديان السماوية ، ويظن هؤلاء أنه امتداد طبيعى للفلسفة المادية الماركسية . غير أن الأمر يختلف عن هذا ؛ فداروين لم يكن ماديا (3) . ويقول الدكتور أحمد أبو زيد فى هذا الشأن ما يلى : (ومن الطريف أن كارل ماركس كان يريد تصدير الترجمة الانجليزية لكتابه (رأس المال) بعبارة اهداء الى داروين مما يكشف عن مدى اعجابه وتقديره له ، ولكن داروين اعتذر فى أدب عن قبول ذلك العرض ، ومع ذلك فقد كتب ماركس بخطه على النسخة التى أرسلها اليه

(3) يقول داروين فى نظام العالم : (ان هناك جمالا وجلالا فى هذه النظرة عن الحياة بقواها العديدة التى نفخها الخالق لأول مرة فى عدد قليل من صور أو فى صورة واحدة) - أصل الانواع ، ص 777 - .

عبارة : (من المعجب المخلص) والظاهر أن داروين وضع الكتاب في مكتبته دون أن يقرأه أبدا ... بل الأكثر من ذلك هو أن داروين كتب الى ولاس (4) فيما بعد يقول : انه من الغباء أن تسود في ألمانيا فكرة وجود علاقة بين الاشتراكية والتطور عن طريق الانتخاب الطبيعي (ولقد ظل كارل ماركس متحمسا لكتاب أصل الانواع . ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب الى انجلز (5) يقول : « على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بأسلوب انجليزي فـج فانه يحتوى أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا » (6) .

وكان داروين يرى ان هناك اختلافا بين القضايا الدينية والعلمية - فالدين مرتبط بحرية الاعتقاد ولا يجوز لاي عالم أن يقحم نفسه في هذا المجال .

أ - داروين وولاس يرفضان الفكر المادى :

يقول العقاد فى كتابه - الفلسفة القرآنية - ما يلى :
وكان داروين على ترددده فى مسائل الغيب ، يشعر بقداسة الدين ويحرص على رعاية شعور المتدينين ولا يرضى من العلماء أن يقحموا مذاهبهم على ضمائر الناس فيما اطمأنوا

(4) ولاس : عالم طبيعى انكليزى (1823 - 1913 م) مؤسس الجغرافية الحيوانية - من أنصار المدرسة التطورية والارتقاء -

(5) انجلز : فريد ربش (1820 - 1895 م) مفكر المانى ذو نزعة مادية صاحب ماركس أهم كتبه الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية - العلمية - وجدلية ، الطبيعة .

(6) انظر : العربى - العدد 284 يوليو 1982 - ص 69 .

اليه من عقائدهم الروحية ، فلما أراد كارل ماركس أن يهدى اليه كتابه عن رأس المال كتب اليه معذرا ، وقال في رسالة محفوظة الآن بمعهد ماركس وانجلز في موسكو : « اننى أشكر لك رسالتك الودية ... وأفضل أن يكون هذا الجزء من الكتاب غير مهدي الى مع شكرى لهذه التحية اذ كان اهداؤه الى يتضمن على وجه من الوجوه اقرارى لما فى سائر الكتاب الذى لا علم لى به . واننى مع غيرتى على الدعوة الى حرية الفكر فى جميع المسائل ، أرى صوابا أو خطأ . أن المناقشات المباشرة التى تناقض المسيحية والايمان بوجود الله قلما يكون لها أثر على جمهرة الناس ، وان خير وسيلة لتحقيق الحرية الفكرية أن تتقدم العقول تبعا لتقدم العلوم ، ولهذا أرانى أتجنب الكتابة فى أمور الدين وأقصر كتابى على المباحث العلمية » (7) . أما بالنسبة الى الرائد الثانى الذى ساهم فى نظرية التطور فهو العالم الانجليزى - ولاس ألفريد راسل (8) - الذى شاطر داروين فى نظرية التطور والقول بتعدد الانواع عن أثر الانتخاب الطبيعى بالعوامل الجغرافية . وهو شديد الإيمان بالله عز وجل . ويقول : ان الإرادة الإلهية هى التى أوجدت هذا النظام الدقيق فى الكون ، فليست المعجزة التى يريد بها الله أغرب من نظام العوامل المطردة فى ظواهر الكون ، ومرجعها جميعا الى الارادة الالهية على اطراد أو على استثناء (9) .

(7) انظر : العقاد - الفلسفة القرآنية - ص 486 .

(8) عالم طبيعى ذو نزعة تطورية ، مؤسس الجغرافية الحيوانية - (1823 - 1913 م) .

(9) راجع الفلسفة القرآنية - للعقاد - ص 486 .

ومن خلال هذا التحليل ، يتبين لنا أن الماركسية تريد أن نستغل هذه النظرية لتأكيد النزعة المادية الديالكتيكية وتقر في منهجها المادى أن الداروينية هي الدعامة الثالثة للنزعة الماركسية - ولقد جاء في الموسوعة الفلسفية الشيوعية ما يلى : وقد ساهمت أعماله (10) مساهمة كبيرة فى ظهور البيولوجيا العلمية والكفاح ضد المثالية واللاهوت والميتافزيقا وساعدت فى تأسيس العلم الطبيعي على المادية الجدلية (11) .

ومن هنا يتبين لنا أن الفلسفة الماركسية تريد أن تقحم الفكر الداروينى فى فلسفتها بدعوى الاستفادة من الاكتشافات العلمية التى هى التراث البشرى . غير أن داروين قد بين أن هناك فرقا بين القضايا العلمية والقضايا الدينية ، وطلب من العلماء أن لا يقحموا أنفسهم فى عقائد الناس . ويقول : « يبدو لى أن استحالة القول بأن هذا الكون العجاب العظيم ، وما انطوى عليه من شعورنا الواعى ، إنما كان وليد المصادفة » (12) .

ب - بعض الاقلام الاسلامية وداروين :

ان موضوع الفكر الداروينى هو موضوع ملح بالنسبة للطلاب والشباب الذين يحتكون بهذه المدرسة التطورية فى الثانويات والجامعات ؛ ولكن نلاحظ ان بعض الكتاب

(10) أى داروين*.

(11) انظر : الموسوعة الفلسفية السوفياتية - باشراف م . روزنتال -

ى . يودين ، ص 193 .

(12) انظر : العقاد - الفلسفة القرآنية - ص 489 .

المسلمين يقومون برفضها جملة وتفصيلا بدون دليل وبرهان وعدم عرضها ونقد أسسها وبيان الثغرات الموجودة فيها . غير أن هذه الطريقة أصبحت مرفوضة بالنسبة للطلاب الذين يريدون البراهين الكافية ، لان النزعة الشككية قد تسربت الى جميع الدراسات الثانوية والجامعية ، وأصبح الطالب ينشد الحقيقة التجريبية الموضوعية دون سواها - وبذلك أمست القضايا العقائدية محل شك عند هؤلاء .

ومن هنا كان لابد أن نرد البرهان العلمى بالبرهان العلمى ، والحجة المنطقية بالحجة المنطقية ، وان نستخدم فلسفة العلوم ومصطلحاتها الفكرية لتفنيد هذا الادعاء . وبهذه الروح نستطيع أن نكون جيلا متمرسا على الجدال الفكرى للدفاع عن صحة وسلامة أصول الفكر الاسلامى . ان هذا الامر يكاد أن ينعدم فى هذا الموضوع أى ما يتصل بنظرية داروين - فنحن نلاحظ ان هناك عدم احترام صاحب النظرية ، وفى غالب الاحيان يتطرق الامر الى التهكم على الفكرة التى نرفضها - ولا أدل على ذلك ما كتبه مجلة « العلم والايمان » فى العدد الثانى والاربعين من شهر حزيران سنة 1979 جاء فيها ما يلى : « ففى نظرية النشوء والارتقاء التى نحن بصدد الحديث عنها . نجدهم ينعثون من لا يؤمن بها رجعيا متمزتا لا يفهم مقتضيات العصر ، وكأنهم بذلك يقصدون : نحن صنعنا الحياة ! ثم راحوا يرصدون الأفلاك ويرصفون الجماجم ..! ألا انهم هم الرجعيون الذين أبوا إلا ان يرجعوا خلق السماوات والارض الى الصدفة

والانسان الى القرد يريدون بذلك اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يشع نوره .

منهاج داروين فى البحث :

انطلق تشارلس داروين فى البحث عن منهاج واه ناقص فهو وان استخدم عنصر الملاحظة ثم عنصر القانون فان عمله هذا لا يمثل الا جزءا بسيطا من منهاج الاسلامى فى العلم ، وكل منهاج غير اسلامى فى مجال العلم والمعرفة فهو باطل من أساسه - فلو أخذ داروين بمنهاج صحيح لاستطاع أن يأتى بتفسيرات صحيحة ، ولكنه أخذ الى الارض فركب هواه فلم يكن له الا أن يضع رأسه مكان هواه .. » (13) .

ان الفكرة التى يعرضها صاحب النص ، يفترض ان تكون على الاقل مأخوذة من كتاب أصل الانواع لداروين لان النص يعتبر مصدرا يأخذ منه الباحث فكرته وسندا يستند اليه . فان دراسة النصوص تعتبر فى البحث العلمى عملا ضروريا فى شرح وتحليل ونقد فكرة أو مذهب ما . وبات من المستحيل ان يستغنى عنها الدارسون عند دراستهم الآراء والمذاهب الفكرية مهما كانت اتجاهاتها . ولعل أول هذه الشروط ، احترام رأى المعارض مع مناقشته بروح علمية موضوعية ، ثم توظيف المعطيات العلمية والفلسفية فى البحث النقدى ؛ نظرا لتلك القرائن التى قدمت فى هذا الموضوع ، يتجلى لنا اذن ، أن النزعة الفكرية المسبقة تفتقر الى الروح

(13) نفس المصدر ، ص : 16 - 19 .

العلمية وخصائصها . وفي هذا التحليل المبسط نحاول أن نبين هذه الفكرة التي أحدثت انعكاسا ثوريا مباشرا وغير مباشر على شتى العلوم المادية والعلوم الانسانية وصبغت كل التيارات الفكرية المعاصرة .

وحسب الباحث ، أن يذكر الحقيقة التي لا مريّة فيها . أن القرآن الكريم ليس فيه ما يناقض الاكتشافات العلمية الحديثة . ولكن قد يبدو لبعض الاشخاص أن هناك تباينا بينه وبين ما يلاحظونه أو ما يعتقدونه . ولكن القرآن الكريم قد أوضح هذا الاشكال : ثم نقول لهؤلاء : ان هناك بعض الآيات لا سبيل لفهمها ، الا بأعمال الفكر من ذوى الراسخين فى العلم وأولى الالباب، ويقول الله فى شأن هذا الامر : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » (آل عمران : 7) . ومن هذا المنطلق الفكرى نقول : ان الآيات المتشابهة وأمثالها ، كان من الضروري أن تنبه العقول ، وأن تدفعها الى التفكير الفلسفى ، لازالة الاشكال القائم بين العلوم والآيات القرآنية الكريمة ، والتي تشير الى الظاهرة العلمية اشارة فقط . فى المفهوم الكلى ، فلا تقوم بشرحها وتحليلها كما هو الشأن فى العلوم الطبيعية والاجتماعية ... الخ . وهناك فئة من العلماء استطاعت أن تحل التعارض الظاهرى بين القرآن الكريم والعلوم المعاصرة .

ج - نظرية داروين ومشكلة الخلق :

ان الاسلام قد أكد ، أن الانسان قد خلق خلقا مستقلا ، يقول الله عز وجل : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » (التين : 4 ، 5) . ولكن هناك آيات أخرى قد تشير الى ظاهرة التطور كقوله عز وجل : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ » (الأعراف : II) . وفي آية أخرى من سورة نوح يقول عز وجل : « مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا » (نوح : I3 - I4) .

ان هذه الآيات الكريمة ، تشير الى ظاهرة التطور . ولكن كيف ؟ ومتى ؟ لا ندرى لا من حيث الزمان الالهى . ولا من حيث التطور ، أو من حيث طبيعة الاولى للخلق - اما بالنسبة للزمان الالهى فهو يختلف عن الزمان الارضى (I4) . ولقد اثبتت التجارب العلمية الدقيقة حقيقة انكماش الزمن وتقلص الطول . وتعاظم الكتلة مع زيادة السرعة ، وقد جاء فى القرآن الكريم ثلاث آيات بينت نسبة الزمان وهى ما يلى :

« وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » (الحج : 46)

« يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » (السجدة : 4) .

(14) انظر : يوسف مرة - العلوم الطبيعية فى القرآن - ص : 180 - 194

« تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » (المعارج : 4) .

يقول الأستاذ محمود طه .. فى قصة الخلق الانساني ما يلي (15) : ان الله استل آدم استللا من الماء والطين ، « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » انه الانبثاق من الطين درجة درجة وخطوة خطوة من الاميبا الى الاسفنج الى الحيوانات الرخوية الى الحيوانات القشرية الى الفقريات الى الاسماك الى الزواحف الى الطيور الى الثدييات الى أعلى رتبة آدمية بفضل الله وهديه وارشاده ... ثم يحدثنا القرآن عن تخلق الجنين : « يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ » (الزمر : 6) .

من هذه المنطلقات الفكرية السليمة التى يجب بلورتها . نستطيع أن نقول بكل تأكيد ان بعض الآيات الكريمة ، لم تفسر تفسيراً علمياً الا بعد تقدم عجلة العلوم الحديثة وتقدمها فى هذا العصر . ولا أدل على ذلك ما جاء فى قوله تعالى : « لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ، أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى ، قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِي بَنَانَهُ » (القيامة : 1 ، 2 ، 3 ، 4) .

بقول الله عز وجل : أيعظن الانسان أن الله غير قادر على جمع عظام الموتى بعد زوالها واندثارها ، بل ان الله قادر على ما هو أعظم وأعقد من ذلك فهذه القدرة تكمن فى إعادة

(15) انظر : مصطفى محمود - القرآن محاولة لفهم عصرى - ص : 65 - 66

تكوين البصمات الاولى التى رسمت فى أصابعنا (16) .
وهذه الصفة الخلقية تعد أكبر وأعقد من احياء العظام .
وهذا هو التحدى بذاته ، لأن هذه الصفة الفزيولوجية الخفية
لم يكشف سرها الا فى القرن الحديث حين قام سير فرنسيس ،
وجوان فوتشتسن ، فبينما فى سنة 1891 أن كل شخص يتميز
عن الآخر بترتيب خطوط خاصة به فى أصابعه ، ولو كان
أصحابها توائم . وهذه البصمات لا تتغير أبدا فى حياة الفرد
لا فى الشكل ولا فى العدد مهما عرضت حياة الانسان من
أمراض أو إصابات . ولا يجدى الحرق ولا التشويه فى
تغييرها . ومن خلال هذا المنطلق يتأكد لنا أن القرآن معجزة
الهيّة - وأن القرآن الكريم أشار الى الاصابع بالذات ، ولم
يشر الى الاعضاء الاخرى كالعين أو الانف أو الاسنان ... الخ
اما فى القديم كان المفسرون يشرحون هذه الآيات من
الزاوية البلاغية فقط . ألا يحق لنا أن نقول : ونؤكد مرة
أخرى ، أن الحقائق العلمية لم ولن تعارض كتاب الله . ولقد
أنزل القرآن الكريم قبل عصر النهضة العلمية ، ولكن رغم
تحديات العلوم الدقيقة كالذرة والعلوم الفضائية ، لم
تستطيع تنفيذ رسالة (محمد) (ص) ، بل هذه الحقائق العلمية
أصبحت تؤكد وتعزز رسالة الاسلام . ولو كان القرآن
الكريم صادرا من البشر لأمسى الأمر ضربا من المحال .

(16) انظر : المصدر السابق ، 275 .

د - الاجتهاد ومعالجة القضايا العلمية محور أصيل وضروري في الفلسفة الاسلامية :

ان الحقيقة التي نستنتجها من الموضوع السابق أن القرآن الكريم ، يهدف الى التوفيق بين القضايا العلمية والدينية ، ويركز على الايمان والعلم ، ويدعو الى اعمال العقل الذي يجعل صاحبه قادرا على النظر الثاقب الى ظواهر الوجود نظرة نقدية قائمة على البرهان العقلي . كقوله عز وجل : « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » (الحج : 46) . ويقول الله في آية أخرى : « يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » (النور : 44) . هناك آيات أخرى يصعب حصرها في هذا الموضوع ، التي تطلب الاجتهاد الفكري والتأمل في ملكوت الله عز وجل . ولعل هذه الحقيقة الفكرية التي تدعو الى النشاط الفلسفي قد أثرت قديما في تاريخ الثقافة الاسلامية ، حيث أن هناك بعض الفقهاء قد عارضوا هذا الضرب من النشاط الفلسفي بدعوى انه يتناقض مع أصول العقائد . ولكن القرآن الكريم قد حارب الجمود الفكري ، ثم رسم لنا صورة واضحة للانسان العاقل الذي لا يستغل مواهبه ويحرر ذهنه وحواسه لادراك الحقائق ؛ ان الفكر الاسلامي الصحيح ، يرفض التقوقع والتقليد الاعمى بدون دليل ، وفي هذه الحالة يكون الانسان أشبه من الحيوانات العجم أو دون ذلك ... وفي هذا يقول الله عز وجل : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » (الاعراف : 179)
 ويقول الله فى آية أخرى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (البقرة : 170) .

مما تقدم كله ، نستطيع أن نؤكد أن الفلسفة القرآنية بأسلوبها ، ومنهجها ، وطريقة معالجتها للمشاكل المختلفة ، والقضايا العلمية - تطلب منا التأمل والوصول الى جواب .
 لذا أمسى من الضرورى أن نجد الاسانيد الكافية من القرآن لازالة التعارض الظاهرى بين القضايا العلمية الصحيحة وآياته الكريمة .



١ - دلالة التطور : لغة واصطلاحاً :

١ - التطور لغة :

التطور في اللغة : التغيير والتحول من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، والتطور المدة والتسارع . وجاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي : التطور الحال ، وبسبعة أطوار وقال الله تعالى : . وقد خلقكم **الفصل الأول** وأحوالاً مختلفة وقال تعالى أطواراً أن خلقنا مختلفاً كل واحد على حدته كل واحد

أضواء على مفاهيم التطور والرد على المفهوم الماركسي

الاطوار : الحالات المختلفة والتغيرات والمراحل (٧) .

٢ - التطور اصطلاحاً :

ولقد انتقل هذا المصطلح إلى الاصطلاح العلمي ولا سيما في مجال العلوم البيولوجية أولاً . ثم العلوم الإنسانية في الدرجة الثانية ، ويتقدم به التغيرات المرحلية في طبيعة الكائنات الحية ، ويطلق كذلك على التغيرات النفسية

(٧) لسان العرب لابن منظور القوي سنة 744 هـ الجزء السادس

ص 179 .

أ - دلالة التطور : لغة واصطلاحاً :

1 - التطور لغة :

التطور فى اللغة : التغير والتحول من مرحلة الى مرحلة أخرى ، والطور المدة والتارة . وجاء فى لسان العرب لابن منظور ما يلى : الطور الحال ، وجمعه أطوار وقال الله تعالى : « وقد خلقكم أطوارا » معناه ضروبا وأحوالا مختلفة وقال ثعلب أطوارا أى خلقا مختلفة كل واحد على حدة كل واحد على حدة ، وقال القرآن خلقكم أطوارا قال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما .

الاطوار : الحالات المختلفة والتارات والحدود (17) .

2 - التطور اصطلاحاً :

ولقد انتقل هذا المدلول اللغوى الى الاصطلاح العلمى ولا سيما فى مجال العلوم البيولوجية أولا . ثم العلوم الانسانية فى الدرجة الثانية ، ويقصد به التغيرات المرحلية فى طبيعة الكائنات الحية ، ويطلق كذلك على البنيات النفسية

(17) لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة 711 هـ الجزء السادس ص 179 .

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لا تستقر على حال معين بل تنتقل الى مراحل معينة من الادنى الى الاعلى - أى الارتقاء من البسيط الى المركب ومن الحسن الى الاحسن .

3 - مفهوم التطور فلسفيا :

للتطور عدة مفاهيم :

المفهوم الاول : يقصد به النمو أى الانتقال من حالة الكمون الى حالة الظهور حتى يكتمل الفعل نهايته . كمبدأ الحياة الذى ينمو وينبسط ويظهر فى الكائنات الحية سواء فى عالم النباتات أو الحيوان .

المفهوم الثانى : فيقصد به التغير التدريجى الذى لا يتميز بالعنف نتيجة الظروف الطبيعية .

المفهوم الثالث : هو معرفة الفعل مسبقا ، نتيجة للمراحل التى ينتقل فيها الكائن الحى ، وذلك من الانتقال من البسيط الى المركب .

ويقول هوبرت سبنسر (18) : (التطور هو اتمام واكمال للمادة ، مصحوب بتبديد للحركة ، تنتقل المادة خلاله من حالة تجانس غير معين وغير ملتحم ، الى حالة من اللاتجانس المعين والملتحم ، بحيث تخضع الحركة المتبقية فيه لتبديل مواز) (19)

(18) سبنسر هوبرت : (1820 - 1903) فيلسوف انكليزى طبق نظرية التطور على العلوم الانسانية .
(19) راجع المعجم الفلسفى ، ج 1 ، ص : 293 - 294 ، لجميل صليبا .

والعالم الذى يؤمن ويعتقد بالتغير وتدرج الاحياء ورقبها
فى سلم التطور فهو عالم تطورى ، اما ما يقابل مذهب التطور
فهو مذهب الثبات الذى يرى أن الوجود وجد هكذا فى حالة
سكون واستقرار .

4 - المفهوم الاكاديمى للتطور :

ان المفاهيم الاولى لدلول التطور تعود جذورها أساسا الى
الفلسفة اليونانية وقد مثلها كل من - أنا كسماندريس (20)
الفيلسوف المادى اليونانى وأرسطو وبعض أعلام الفلسفة
الاسلامية كابن مسكويه وابن طفيل وابن خلدون - غير أن
هذه المدرسة لم تكتسب الصفة العلمية الاكاديمية الا بفضل
العالمين لامارك وداروين (21) - الا أن النظرية أصبحت
مرتبطة بداروين ، فذلك حين علل نشوء الانواع الحية
بقانون تنازع البقاء وقانون الانتخاب الطبيعى . ويرى أن
الكائنات الحية خاضعة لقانون تنازع البقاء ، وأن الكائنات
الحية بدأت فى صورة كائن بسيط جدا ، المتمثل فى الاوليات
كاللحميات ، والهدبيات والجرثوميات والسوطيات (22) .
وهذا النوع من الحيوانات ، تعد جميعها بدائية ، ظهرت فى
طور مبكر جدا من تاريخ حياة الارض . وأن المملكة الحيوانية

(20) انكسماندريس : (610 - 547 ق م) فيلسوف يونانى يعد من
الاول الذين نادوا بفكرة التطور وفى اعتقاده أن الانسان لا يختلف عن
عالم الحيوان وأن الانسان قد تطور عن عالم الاسماك .

(21) راجع حياتهما فى الفصل القادم .

(22) راجع كتاب المعرفة - الحيوان - ج 1 ، ص : 6 - 7 .

برمتها ، ما هى الا امتداد طبيعى لهذا التطور الذى استمر ملايين السنين . ويرى علماء البيولوجيا أن الانسان العاقل ينتمى ويصنف مع القروذ المذنبة وغير المذنبة كمجموعة الرئيسية التى تتميز عادة بذكائها (23) . اذن أن الانسان يدخل ضمن حلقة من حلقات التطور ، التى يشترك فيها مع عائلات القردة العليا . وهى أقرب الانواع تشابها بالنسبة الى النوع البشرى ، الا أن العلماء الى حد الساعة لا يزالون فى بحث وجدال وتحقيق لايجاد الحلقة المفقودة بين الانسان العاقل والقردة العليا ، وما زالت هذه المشكلة معلقة لحد الآن .

ب - نظرية التطور وعلاقتها بالعلوم الاخرى :

1 - نظرية التطور والجيولوجيا :

ان العلوم الجيولوجية والطبيعية والانسانية أصبحت تعتمد على فكرة التطور لتعليل نتائجها ، ولا سيما العلوم الجيولوجية ، التى أثبتت التجارب العلمية صحة الفكرة القائلة : بأن الارض قد مرت على عمليات التحول الخطير من خلال ملايين السنين ، والارض فى نظر علماء الجيولوجيا ، لم تكن الا كتلة نارية ملتهبة فى أول أمرها . وبعد ملايين السنوات بدأ سطحها الخارجى يبرد شيئا بعد شيء وشرعت الجبال والبحار فى الظهور . ولكن مظاهر الحياة ، لم تحدد وتضبط الا فى حقب الحياة القديمة فى عصر الكمبرى ويمتد

(23) اشارة الى القروذ الغير المذنبة الشمبانزى والغوريلا .

في الفترة ما بين 520 الى 420 مليون مضت (24) . والحق أن الأرض الى حد الساعة لا تزال تشهد تطورات أقل عنفا مما مضى نتيجة العوامل الجغرافية كالزلازل والأمطار ، والبراكين ... الخ .

وهناك نظرية أخرى تقول : ان القارات الخمس قد انشطرت عن قارة واحدة متماسكة في مرحلتها الاولى . ولقد صاغ هذه النظرية العالم الالماني ألفرد قنجر ، واعتمد على أدلة الحفريات ومخلفات العصور الجليدية ، ولا سيما علم النباتات الذي يقدم لنا قرائن محسوسة على وجود نباتات متشابهة جدا ، في مختلف قارات العالم . ولا يمكن أن نعلل هذه الظاهرة تعليلا علميا ، الا اذا سلمنا ، أن أجزاء الأرض كانت في الماضي السحيق كتلة واحدة متماسكة (25)

2 - كيف يتم تحديد أعمار المواد الجامدة والحية ؟

ان الفكر العلمي خطأ خطوات هامة في تحديد أعمار الصخور ، والكائنات المتحجرة - الاحفورات - (26) وذلك بفضل تقدم العلوم النووية ، وعن طريق هذا العلم يمكن ضبط الطبيعة الاشعاعية لكل مادة لتحديد عمرها ، مهما كان .

(24) انظر : المكتبة العلمية - الأرض - ص : 35 - 38 .

انظر : المكتبة العلمية - البحر - ص : 37 - 40 .

(25) انظر : المكتبة العلمية - الأرض - ص : 87 - 89 .

(26) الحفيرة . الحفير : وما يحفر للكشف عن الآثار ج حفورات وحفائر .

ويقول آرثر بيزر ما يلي : (كثيرا ما يمكن تحديد عمر مادة كانت حية في يوم من الايام ، بواسطة قياس محتوياتها من كربون النشاط الاشعاعي I_4 . فكل الكائنات الحية ، تمتص بعض كربون I_4 من الهواء وعندما يموت الكائن العضوى يقف هذا الامتصاص ، ويبدأ ما فيه من كربون I_4 المشع فى التحلل الى أزوت . ولما كان معدل هذا التحلل معلوما - نصف عمر الكربون I_4 هو 5730 فانه يمكن تعيين عمر المادة العضوية ، بقياس ما فيها من الكربون المشع (27) .

3 - نظرية التطور والعلوم الانسانية :

ان العلوم الانسانية ، تهتم بدراسة وتحليل سلوك الانسان ، وظواهره النفسية ، والاجتماعية وحوادثه الماضية ونشاطه الاقتصادى .

فعلم النفس يهتم بدراسة الظواهر النفسية لدى الفرد - أى جملة الحوادث الشعورية التى تتجلى فى السلوك العام عند الانسان - والظواهر النفسية تنقسم الى قسمين :

1 - خبرات شعورية التى يعيها الانسان كالتعلم والتذكر والادراك ... الخ .

2 - ظواهر لا شعورية - ونعنى بها ، كل ما تراكم فى النفس منذ الصبا من نزعات دفينية ، وميول مكبوتة ، وهذا

(27) انظر : المكتبة العلمية - الارض - ص 123 .

السلوك يعرف باللاشعور عند المدارس النفسية ولا سيما المدرسة الفرويدية (28) .

أما علم الاجتماع فيهتم بدراسة وتحليل الظواهر الانسانية وتفاعلها فى المجتمعات البشرية كالعادات ، والتقاليد ، والزواج .. والصراع الطبقي ... الخ . فالانسان ابن بيئته الاجتماعية - ولا يمكن بأى حال من الاحوال أن يعيش منعزلا عن الحياة الاجتماعية ، ولذا قيل : ان الانسان حيوان اجتماعى . وان الظاهرة الاجتماعية مرتبطة بالعلوم الانسانية الاخرى ، وقد تبدو وأنها واضحة ولكن الامر يختلف عن ذلك .

ولقد قال أوقست كونت (29) : ان الظاهرة الاجتماعية هى أكثر الموضوعات وضوحا للاذهان ، وأكثرها تعقيدا فى الوقت ذاته (30) . وهذه الظاهرة الانسانية قد تترد جذورها الى الماضى السحيق وهذا الماضى يمثلته التاريخ ، ونستطيع أن نقول : ان التاريخ يهدف الى معرفة ماضى البشرية ، أفرادا أو جماعات ، معرفة صحيحة ، موضوعية . فالمؤرخ يعيش زمانا ومكانا غير الزمان والمكان ، المدين يعيش فيهما كالحرب العالمية الثانية التى أثرت فى العالم وغيّرت خريطة

(28) انظر : كتابنا - الاسلام ومدرسة فرويد - ص : 21 - 27 .
(29) أوقست كونت (1798 - 1857 م) مفكر فرنسى يعد من زعماء النزعة الوضعية العلمية ، أهم كتبه : دروس الفلسفة الوضعية - العقيدة الوضعية .
(30) المنطق وفلسفة العلوم لبول ماي ، ص 287 .

العالم تغييرا جذريا سواء فى المجال الصناعى أو الثقافى أو
السياسى أو الادبىولوجى ... الخ .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نؤكد مرة أخرى ، أن العلوم
الانسانية تلازمها ظاهرة التطور - فلا يمكن أن نتصور أى
مجتمع بشرى مهما كانت درجة حياته وأسلوب حياته غير
قابل للتطور .

والتطور ظاهرة ملازمة للمجتمع الانسانى ، الذى مر
بأنماط وتطورات معينة ، الى أن وصل الى هذه الصورة التى
هو عليها الآن . وهذه الصورة المعقدة الآن تمثلها الحضارة
المعاصرة التى أثرت بعمق وقوة فى البنيات الاجتماعية .
لقد انعكس هذا التطور فى ظواهر المجتمع ، التى نلاحظها
فى كل يوم ابتداء من الفرد والأسرة والوطن والمجتمع
الانسانى العالمى ... اذن جميع مظاهر نشاط الانسان تتميز
بالتطور . ونستطيع أن نقول : كل شئ يتطور ، وأن فكرة
التطور قد دخلت فى جميع مجالاتنا الفكرية والمادية معا .
ويقول الاستاذ الكبير محمد قطب : « ولا يوجد شئ واحد
ولا عمل واحد ولا مفهوم واحد لا تدخل فيه فكرة التطور ..
ولا يتصور الناس شيئا فى الحياة كلها الا من خلال فكرة
التطور التى تشمل كل شئ وكل كيان .. وحين تستولى فكرة
التطور على أفهام الناس بهذه الصورة ... فلا بد أن يصطدم
تفكيرهم بالدين ! فالدين فى حسن البشرية - يمثل الثبات .
ثبات الاله ، وثبات العقيدة ، وثبات العبادة ، وثبات القيم ،
وثبات المفاهيم ، وثبات التقاليد ... وثبات الحياة .

وما دام الدين فى حسن البشرية يمثل هذا الثبات كله ، فلا بد أن يصطدم فى حسمها بمفهوم التطور الشامل ، الذى لا يطبق تصور الثبات فى أى شىء على الإطلاق ، ولو كان فكرة الله أو فكرة الدين « (31) . ومن خلال هذا النص نستشف أن هناك بعض المفكرين قد اصطدموا دوماً بفكرة التطور لأن ظواهر الحياة قد تغيرت فلا بد من تغيير المفاهيم الدينية لتلائم الحياة الجديدة ولو كان الامر مرتبطاً بأصول الدين . والا أصبح هذا الانسان متزمتاً ، جامداً لا يدرك من مقتضيات هذا العصر أى شىء . اذن كيف عالج الاسلام فكرة التطور والثبات من خلال سلوك البشرية ؟

ج - المفهوم الاسلامى لفكرة التطور والثبات فى حياة البشرية :

ان التحليلات السابقة بينت ، أن نظرية التطور قد أثرت تأثيراً قوياً فى الفكر الحديث . ويمكن أن نسمى هذا العصر عصر التطور لأنه شمل جميع الميادين كلها . ولا جرم أن هذه المشكلة بالذات ، قد طرحت نفسها بنفسها على كل مفكر . اذن كيف نظر الاسلام الى هذه القضية ؟ انطلاقاً من حياة سلوك الفرد والمجتمع - وكيف عالج هذه الفكرة ؟ وكيف كان موقفه ازاءها ؟

ان الاجابة عن هذه الاسئلة تتطلب منا ، أن نعى ونذكر قبل كل شىء ، مواقف المذاهب المعاصرة ولا سيما المدرسة

(31) انظر : التطور والثبات فى حياة البشرية لمحمد قطب ، ص : 5 - 6 .

الماركسية التى أصبحت تهيمن على الادبولوجية المعاصرة ، ونحن بدورنا سوف نناقش أصولها الفكرية من زاوية الاسلام والحق الذى لا نشك فيه ، أن فكرة التطور وتطبيقها على سلوك الفرد والمجتمع مأخوذة من الفكر الداروينى - ولقد طبقها علماء النفس والاجتماع والاقتصاد على الظواهر الانسانية . وهم يرون أن الظواهر الاجتماعية والنفسانية يمكن تفسيرها تفسيراً آلياً مادياً . لان هذه الظواهر ترتد الى الظواهر المادية وبالتالي يمكن اعطاؤها مفاهيم مادية صرفة .

1 - الماركسية والتطور :

ان المدرسة الماركسية ، تنظر الى الوجود نظرة مادية خالصة سواء كانت حوادث طبيعية أو حوادث اجتماعية . ويقول ماركس فى ذلك : « ان طريقتى الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الاساس فحسب ، بل هى ضدها تماما ، فحركة : الفكر ، هذا الفكر الذى يشخصه هيغل ويطلق عليه اسم الفكرة هى فى نظره ، خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع الا الشكل الحادى للفكرة . أما فى نظرى ، فعلى العكس ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية ، منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه » (كارل ماركس رأس المال - المجلد الاول ص 29) (32) .

أما بالنسبة لانجلس فيقول : « ان الطبيعة هى محرك الاختبار للديالكتيك ، ولا بد من القول ان علوم الطبيعة

(32) انظر : المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية لستالين، ص: 19 - 20

الحديثة قد وفرت لهذا الاختبار مواد غنية الى أقصى حد .
وهذه المواد تزدد كل يوم . وهكذا برهنت هذه العلوم أن
الطبيعة تعمل فى النتيجة ، بصورة دياكتيكية ، لا بصورة
ميتافيزية ، وانها لا تتحرك فى دائرة تبقى هى ذاتها دائما
وتتكرر الى الابد ، بل ان لها تاريخيا واقعيا . وبهذه المناسبة
ينبغى أن نذكر بالدرجة الاولى ، داروين الذى وجه ضربة
قاسية بأثباته أن العالم العضوى بأسره ، كما هو موجود
اليوم ، أى النباتات والحيوانات ، وبالتالى الانسان أيضا ،
هو كله نتاج تطور يجرى منذ ملايين السنين » (33) .

2 - نقد الاساس الذى أقيمت عليه الفلسفة المادية :

من خلال هذين النصين ، يتبين لنا ، أن الماركسية لم
تأخذ من الفيلسوف الالماني هيغل سوى منهجه الجدلى ،
وطرحت فكرته المثالية ، ثم وسعت فكرته الجدلية ، فطبقتها
على الوقائع المادية والانسانية على السواء ، من خلال
الداروينية . ومعنى هذا أن الوجود كله خاضع للتطور
المادى ، فلا شئ الا المادة فقط . وأن تطورات الحياة البشرية
هى انعكاس طبيعى للنشاط المادى .

ان المادية الماركسية حين تنفى القوى اللامادية ، فهل
تستطيع هذه النزعة أن تجهل أو تتنكر المشاعر النفسية
كالخوف والقلق ، والعواطف - والحب ، ثم هل فى امكانها أن

(33) انظر : ستالين - المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية -

تتجاهل تأثير الحالات النفسية في عضويتنا ، كما يؤكد ذلك علم الطب السيكوسوماتي الذي يقول : « ان هناك أمراضا نفسية كمرض العصاب لا تعود علته الى الجانب الفزيولوجي بقدر ما تعود علته الى الحالة النفسية » . ثم هناك بعض الظواهر المادية لا تدرك الا اذا كانت في حالة تلازمية بالضرورة ، والا فقدت الواقعة ماهيتها . كالماء عليه عماد الحياة في الارض ويتركب من اتحاد الادرجين والاكسجين ، بنسبة حجمين من الاول الى حجم من الثاني - ولكن من الواضح أن جوهر الماء في خصائصه يختلف عن الاكسجين - وعن الادرجين .

ومن هنا نستطيع أن نقول : ان جوهر الحياة أمر كان ولا يزال مستعصيا على الإدراك . ويقول في هذا الشأن العالم الروسي (الكسندر أوباريين - أستاذ الكيمياء الحيوية في أكاديمية العلوم السوفياتية - فلقد أكد المؤتمر المنعقد في نيويورك عام 1959 أن أمر الحياة لا يزال مجهولا ولا مطمع في أن يصل العلم اليه يوما » (34) . ومعنى هذا أن العلم أصبح عاجزا كل العجز ان يخلق الحياة في الخلية رغم معرفته لخصائصها الكيميائية . وفي هذا يقول الله عز وجل : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الاسراء : 85) . « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » (طه : 114) .

(34) انظر : محمد سعيد رمضان البوطي - العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر - ص 125 .

3 - أخلاق المجتمع وتطورها من وجهة الماركسية : تاليف

ان الماركسية تنطلق من حقيقة معينة ، حيث ترى أن تطورات الحياة البشرية فردية أو اجتماعية تعود الى الظروف المادية ، وأن الحياة النفسية والاخلاقية والاجتماعية انعكاس للظروف التي يحياها الفرد والمجتمع . وقد جاء في المادية التاريخية ما يلي :

« ليس ثمة هدف داخلي في التاريخ منذ بدايته كما يؤكده المثاليون . ان المادية التاريخية تنظر الى سير التاريخ كعملية مشروطة لها أسبابها وقوانينها . وان الاهداف موجودة في النشاط الانساني وحده ، وان الشروط المادية لكل عصر من العصور تحدد تلك الاهداف التي يضعها الناس نصب أعينهم وتحدد كذلك امكانية تحقيقها . ان التاريخ الملموس غنى ومتنوع . لكنه كما أن الانهار جميعا مهما تعرجت مجاريها لا بد سوف تنتهي الى البحر ، فان الشعوب مهما كان طريق تطورها التاريخي عجيبا ومختلفا فانها سوف تنتهي جميعا في عصرنا الراهن الى الشيوعية . هذا هو قانون التطور التاريخي » (35) .

أما بالنسبة للقيم الاخلاقية فقد جاء في المادية التاريخية ما يلي : « وهكذا ، فالمجتمع يولد الاخلاق ويقوم على حمايتها والمادية التاريخية تدفع بهذه الموضوعات لمجابهة النظريات

(35) انظر : المادية التاريخية لـ : ف . كيللي ، و م . كوفالزون ترجمة أحمد داود ، ص : 151 - 152 .

المثالية الدينية المختلفة عن الاخلاق . فالدين يؤكد أن الأخلاق هبة السماء ، وأنها تعبر عن أوامر الاله ، ولذا فالانسان مرغم على تلبية مطالب الاخلاق تجنباً لغضب الاله وخوفاً من عقابه ؛ كما لو أنه لا يمكن أن توجد الاخلاق بدون الدين أو الايمان بالله ، وان من يخرج على الدين يقضى على أساس ومنبع الأخلاق .

ان الأخلاق مسألة تاريخية . وليس ثمة أخلاق مجردة غير متغيرة خالدة ومستقلة عن التاريخ . ولذا فمن أجل فهم جوهر الاخلاق تنبغى دراستها فى التطور التاريخى « (36) .

4 - مناقشة : مفاهيم الماركسية لأسس تطور المجتمعات وأخلاقها ، من الوجهة الاسلامية :

ان النص الاول يؤكد ، أن المجتمع البشرى يتطور ويعتمد على الانتاج المادى الذى يحدد بنية المجتمع - ولولا هذا العامل لامتنع علينا فهم التطور البشرى ، ويستحيل ادراك وفهم البنيات والتشكيلات الاجتماعية الا من خلال المنطق المادى ، الذى يكشف أسس المجتمعات البشرية المختلفة الاطوار والثقافات ، والتى سوف تنتهى كلها فى يوم ما الى الشيوعية هذا هو قانون التطور التاريخى .

وأمام هذا المنطق المادى الصارم فان الانسان فى زعمهم لا يختلف عن الحيوانات العجماء من حيث النوع . بل اختلاف فى الدرجة فقط . وان تاريخ المجتمع البشرى هو استمرار

(36) نفس المصدر ، ص 440 - 441 .

لتاريخ الطبيعة المادية لا أكثر . وان تاريخ المجتمع هو استمرار لتاريخ الطبيعة . ان تطور العالم الحيوانى هيا المنطلقات المادية لظهور الانسان (37) .

أما بالنسبة للنص الثانى الذى يعالج القيم الأخلاقية ؛ فترى الماركسية أنها انعكاس وشكل من اشكال الوعى الاجتماعى . وبالتالي تعكس العلاقات الاقتصادية ، وتعبّر تعبيرا صادقا عن طبيعة الطبقات الاجتماعية . وأنها تساعد على توطيد وتبرير الملكية الخاصة . وهذه الأخلاق مهما كان مصدرها تعبّر تعبيرا صادقا للطبيعة السائدة المستغلة وتدعمها باسم الإله والكنيسة .

ولقد برهنت الماركسية وحدها على أن الأخلاق ليست الا انعكاسا للمصلحة المادية فقط .

ان أسس الفلسفة الماركسية ، لا تقف على أرض صلبة أمام النقد المنهجى . فهى تناقض نفسها بنفسها حين ترى أن حقيقتها ثابتة لا تقبل المناقشة والجدال ، ولا يمكن أن ترفض وان كل رفض فى زعمها سوف يؤدى بنا الى الجمود والثبات . مع العلم أنها تؤكد وتقر على فكرة التطور فى كل شيء . اذن فلماذا تفرض نتائج حتميتها على الفكر البشرى ، أليس هذا التناقض واضحا ؟ أما بالنسبة الى الحقائق التاريخية فقد أكدت الوقائع التاريخية أن الامم الصناعية لم تتحول الى المجتمع الشيوعى عن طريق تطور التاريخ اذن أين تطور

(37) انظر : المصدر السابق ، ص 152 .

المادية التاريخية فى زعمها ؟ وانطلاقا من هذا الامر نقول :
ان المجتمع الشيوعى لا وجود له ، لان كل شىء سيخلق نقيضه
بالضرورة . فالمجتمع الشيوعى اليوم قد أفرز وأثبت
التناقضات الواضحة بين الحاكم والمحكوم . فتكونت النواة
الاساسية من حيث التفاوت الطبقي البروقراطى الذى لا يمكن
تجاهل هذه الحقيقة - اذن أين الحقيقة الشيوعية التى تدعو
الى المساواة رغم مرور أكثر من ستين سنة - ألم يعلن المفكر
الشيوعى - دجيلاس أن هناك تفاوتاً فى الدخل الفردى ،
ومستوى المعيشة بين الشعب وحكامه ؟ أى اطارات العليا فى
الحزب والدولة . ويرى أن هذه الطبقة استغلّت الطبقة
الرأسمالية فى الحكم واستعملت جميع وسائل الارهاب
والترغيب للمحافظة على السلطة . اما الشعب فلا يزال
يعانى من الامراض البروقراطية والآفات الاجتماعية . ولعل
الانتفاضات التى وقعت فى المجر والتشكسلوفاكيا ، وبولونيا
أخيرا لدليل آخر على افلاس النظرية الشيوعية . اذن أين
الحقيقة الشيوعية التى تدعو الى المساواة رغم مرور أكثر من
ستين سنة !!

ألا يحق لنا أن نقول : بكل موضوعية ان هناك ثباتا فى
الفروق الفردية التى تمثلها القدرات الذهنية ، والنشاطات
النفسية - وهذه الفروق الفردية تتجلى فى حياتنا اليومية
رغم توفير جميع الشروط الضرورية للمساواة التامة ؛ ان
التفاوت الطبيعى أمر معترف به من طرف العلماء وعامة
الناس ، ولكن بشرط ان لا يكون ذريعة للاستغلال واجحاف
حق الغير . ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة فى

قوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (الأنعام : 165) . هكذا يقر الاسلام أن الناس يختلفون في الدرجة حقيقة ثابتة ، رغم أنهم خلقوا من نفس واحدة . يقول الله عز وجل في هذا الشأن : « وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ » (الأنعام : 98) .

ويقول الله في آية كريمة أخرى : « يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات : 13) من هاتين الآيتين نستنتج ما يلي :

(I) ان طبيعة البشرية تعود الى نفس واحدة ، رغم تباين الشعوب ، واختلاف اللسان ، فهذه حقيقة ثابتة ؛ ثم ان الطبيعة البشرية تختلف من حيث التفاون الطبيعي ، كالقدرات الذهنية والنشاط النفسى ، فهذه حقيقة ثانية أخرى . الا أن مفهوم التطور الاسلامى يجب ان يطلق فى مجال العمل ومظاهره المتعددة والمتباينة كالنشاط الفكرى ، والاقتصادى ، والدفاعى ، والاجتماعى . بشرط ان يكون هذا التطور غير متعارض ومتناقض مع أصول الدين الاسلامى - أى القواعد الكلية الواضحة فى الشريعة الاسلامية - ألم يقل الله عز وجل : « وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (التوبة : 105) . وفى آية أخرى يقول الله

عز وجل : « وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة : 251) .
 فالاسلام بين أن التطور ظاهرة طبيعية فى طبيعة المجتمعات البشرية عبر أعمالها ونشاطها ، ولولا دفاع البشر بعضهم ببعض لعم فساد الارض . فهكذا يمكن أن نخرج بنتيجة منطقية سليمة نقول : ان الدوافع الفطرية تبقى ثابتة ، ولكن مظاهرها تتطور عبر العصور كدافع السيطرة الذى يستهدف الانتصار على الآخرين ويتضمن احباط جهودهم الفكرى والمادى . ولعل الصراع العالمى الآن ما هو الا مظهر من مظاهر هذا الدافع الذى يتمثل فى الحضارة المعاصرة القلقة بسبب وسائل الحرب والدمار . ولقد أشار الله عز وجل .. الى هذه الفكرة فقال : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ أَخْلِيْلٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » (الأنفال : 60) .

ان أحدا لا يستطيع أن يمنع هذا الدافع الثابت الغريزى ولكن الامر الذى لا يمكن اغفاله ، يتمثل فى التطورات الدفاعية التى مرت بها الحروب الماضية

فالانسان البدائى ، كان يحارب بالعصي والاحجار ، ثم تطور فأسمى يحارب بالنبال والسيوف . أما فى الوقت الراهن فان وسائل الحرب تمثلها الأسلحة الذرية . ان وسائل القتال قد تطورت . ولكن دافع المقاتلة بقى ثابتا . ولا يمكن ازالته بأى حال من الأحوال .

أما الحجة الثانية التي تركز عليها الفلسفة المادية لظاهرة التطور ؛ فتربطها بالعامل الاقتصادي الذي تعتبره المحرك الاول لسير التاريخ وتطوره ، نحن نقول : اننا لا يمكن أن نهمل هذا الجانب الخطير في حياة الانسانية - غير أن الاسلام قد ربط العامل الاقتصادي بالعامل الاخلاقي ، وفي القرآن الكريم عدة آيات تشير الى هذه الحقيقة الفطرية ، والتي لا يمكن أن نتجاهلها ، كقول الله عز وجل : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة : 10) . اذن ان الفكرة القائلة : بان تطور المجتمع يعود الى العامل الاقتصادي هو اجحاف وانكار للحقيقة التاريخية . هناك حقيقة واقعية تؤكد أن الدين الاسلامي قد قام بانقلاب جذري لم تعرف البشرية مثله - فهكذا انقلب النظام الجاهلي البدوي الى نظام مدني حضاري ، فترك العربي الجاهلي كل شيء في سبيل عقيدته الجديدة الطاهرة ، وهذه الحضارة الاسلامية قد غيرت المفاهيم رأسا على عقب - هل هذا التطور يعود الى العامل الاقتصادي ؟ أظن أن الفكر الماركسي هنا لا يجد أى جواب بل سوف يصطدم بحقيقته التاريخية مرة أخرى .

أما بالنسبة للفكرة الثالثة القائلة : بأن القيم الاخلاقية والمشاعر الوجدانية فما هي الا انعكاس لوسائل الانتاج والحاجات الاقتصادية المادية عبر تاريخ الانسانية . لاشباع تلك الدوافع المادية . نحن لا نستطيع أن نفعل نسبة أحكام الضمير الخلقى ، وانعكاس البيئة الاجتماعية على سلوك الافراد . فهذا نتيجة الثقافات المتباينة عبر العصور الطويلة

ولكن مهما يكن من أمر ، فإن هناك حقائق ثابتة بحيث تكون الاخلاق غاية في حد ذاتها . كقيمة الصدق ، والوفاء ، والعدالة ، والتضحية ، هذه القيم تكون مجردة من المصلحة المادية فكثيرا من الحالات الحب والعاطفة الوطنية الخالصة تدفعنا الى التضحية في سبيل مثل عليا ، ولولاها ما ضحى أى انسان فى سبيل وطنه ، فالمجاهدون المسلمون الاوائل من المهاجرين والانصار ، قد التزموا التزاما كاملا بنصوص شرعية الجهاد فى سبيل العقيدة الإلهية وعرسها ومحاربة الظلم والاستبداد وتحرير الانسان تحريرا شاملا . هؤلاء قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لاجل تثبيت أركان الاسلام . ان هذه الخصائص التى ذكرناها هنا . لن نجد لها سندا أو تفسيراً عند المدرسة الماركسية - ان هذه الحقيقة التاريخية كافية لتفنيد مرة أخرى رأى الماركسية حول مفهوم الأخلاق .



طبيعة الوظيفية الوصفية ، والتفسيرية في المنهجية
اليونانية والإسلامية :

أن علماء الفكر اليوناني والإسلامي أدركوا ظاهرة
التطور ، ويتروا علم الحية ، زيبسوا

نظريات المدارس التطورية ، أدلتها ، ومناقشتها

بين أرمي الكائنات والبيئة - في أن تحيلهم اعتبرت في
الوسط في تحليل ظاهرة النمو والارتقاء سواء في عالم
الجماد أو الحيوان ، ونحن نعلم أن هناك اختلافات بين الوظيفية
الوصفية التي تعتمد على الكيفيات - أي اللغة العادية أن صبح
هذا التحليل لتحديد الواقعة العلمية وظواهرها - غير أن
الوظيفية الوصفية تعد ناقصة عند العلماء لأنها لا تعتمد على
المفهوم الكمي لتعديده ماهية الشيء ، والوصف يكون عبارة
منفصلة للتفسير العلمي - ومن المحال تفسير الوقائع العلمية
دون تحديد وصفها ، ولابد أن نشير هنا إلى أن الوصف بدون
تفسير لا يكفي للوصول إلى الواقعة العلمية . والتفسير
العلمي في الاصطلاح يقصد به ما يلي : « توضيح الحقيقة
العلمية أو إيضاحها من أن ثبت أنها متضمنة في غيرها من
المفاتيح المعروفة ، أو أنها لازمة عن المبادئ البدئية

المقدمة :

- طبيعة الوظيفة الوصفية ، والتفسيرية في المدرسة اليونانية والاسلامية :

ان علماء الفكر اليوناني والاسلامي ، أدركوا ظاهرة التطور ، وبينوا سلم التدرج في الكائنات الحية ، وبينوا العلاقة بين عالم الجماد ، وعالم الانسان - أى أن هناك علاقة بين أرقى الكائنات وادناها - غير أن تحليلاتهم اعتمدت على الوصف في تحليل ظاهرة النمو والارتقاء سواء فى عالم الجماد أو الحيوان ، ونحن نعلم أن هناك اختلافا بين الوظيفة الوصفية التى تعتمد على الكيفيات - أى اللغة العادية ان صح هذا التعبير لتحديد الواقعة العلمية وظواهرها . غير أن الوظيفة الوصفية تعد ناقصة عند العلماء لانها لا تعتمد على المفهوم الكمي لتحديد ماهية الشيء . والوصف يكون عادة مدخلا للتفسير العلمى - ومن المحال تفسير الوقائع العلمية دون تحديد وصفها ، ولا بد أن نشير هنا الى أن الوصف بدون تفسير لا يكفى للوصول الى الواقعة العلمية . والتفسير العلمى فى الاصطلاح يقصد به ما يلى : « توضيح الحقيقة العلمية أو ايضاحها هو أن نثبت أنها متضمنة فى غيرها من الحقائق المعلومة ، أو أنها لازمة عن المبادئ البديهية

اضطرابا « (38) . مثل : تفسير الجسم الساقط لا يمكن تفسير هذه الحادثة العلمية من دون الرجوع الى عدة عوامل مؤثرة فى سقوطه كجاذبية الارض ، وضغط الهواء ، وقوة الرياح ، وبعد الجسم الساقط من مركز الارض - كل هذه العوامل هى التى تحدد السياق العام لتفسير حادثة سقوط أى جسم . وجملة القول نستطيع أن نقول : ان الوصف والتفسير يتصلان اتصالا لزوميا ، ومن المستحيل شرح وتفسير الوقائع دون وصفها . غير أن الوصف بدون تفسير علمى دليل على عجزنا ، وهذا الامر فى مجال المعرفة العلمية مرفوض . وهنا قد يتساءل الانسان متى بدأ التفسير العلمى فى ميدان علم الاحياء بشكل منهجى معتمدا على التجارب العلمية والآلة التقنية ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال مرتبطة بظهور المجهر بفضل مخترعه غاليليو (39) .

ولقد أمكن الاستدلال على الكائنات الحية أى الحيوانات الاولية كالجراثيم والسوطيات والهدبيات - وهذا بفضل المجهر الذى أزال الستار عن العالم الغير المرئى ، وثم اكتشاف الكائنات المتناهية فى الصغر ، وذلك بفضل العالمين الهولنديين لويقينهوك (1632 - 1723) وسوامردام (1637 - 1680) - وقد اهتمتا بدراسة الحيوانات الاولية مع توضيحها

(38) انظر : جميل صليبا ، م . ف . ج 2 ، ص 313 .
 (39) غاليليو : (1564 - 1642 م) مفكر وفيلسوف ايطالى يعد من عظماء العلم الحديث اهتم بالمعرفة العلمية ، استخدم الرياضيات فى دراسته للوقائع العلمية .

في أدق أجزائها (40) بقى هنا ان نعلم ان المذهب التطورى ، اعتمد على عدة أدلة لتأكيد وجهة نظره فى النشوء والارتقاء ونحن بدورنا أن نقدم أدلتهم ، لنكون مع أنفسنا موضوعيين لان هذه الخاصية تعد من خصائص الروح العلمية فلا بد منها فى مجال المعرفة العلمية . والا أصبح الموضوع ذاتيا .

أ - نظرية لامارك (41) :

يعد لامارك فى نظر علماء البيولوجيا ، بأنه العالم الفذ الذى دفع عجلة التطور على أساس تفسير علمى خالص ، وانتقد النظرية التقليدية القائلة بثبات الانواع . وقد بدأ حياته العلمية فى مجال الدراسات الفلكية والنباتية قبل أن يدخل فى ابحاث العلوم الطبيعية . وفى سنة 1776 ، كتب رسالة متواضعة سماها (الزهور الفرنسية) . وبعد عدة سنوات اتجه الى العلوم البيولوجيا - واستحدث لامارك علم الحفريات اللاقارية وأسس النظرية التطورية التى ستكون مدخلا لكتاب داروين فى أصل الانواع . وفى سنة 1809 ، نشر كتابه التالى - الفلسفة الحيوانية - الا أن كتابه الاهم هو التاريخ الطبيعى للحيوانات اللاقارية الذى استغرق فى

(40) انظر : كتاب المعرفة - الحيوان - ص 24 .
(41) اسمه الكامل - لامارك ، جان بابتست (1744 - 1829 م) مفكر فرنسى وعالم طبيعى - بين فى كتابه (الفلسفة الحيوانية الصادر 1809) ان التغيرات فى البيئة تجعل الكائن الحى يكتسب صفات جديدة تنتقل بالوراثة - ويرى أن العالم المادى مسير وفق غرض الهى . وهو من دعاة الفكر الفائى الذى يتناقض مع الفكر المادى الخالص .

تأليفه من عام 1815 حتى 1822 م، وفي هذا الكتاب يشرح ويؤكد فكرته القائلة بأن التغيرات في البيئة الجغرافية بعامل الزمان الطويل تجعل الكائنات الحية ، تحرز صفات جديدة تنتقل بالوراثة من السلف الى الخلف . أدلت به :

يعتمد لامارك في تحليل نشوء آلية التطور الى فكرتين أساسيتين :

أ - فكرة الإهمال والاستعمال .

ب - الصفات المكتسبة تنتقل من السلف الى الخلف عن طريق الوراثة .

1 - تحليل أسس نظرية لامارك :

أما بالنسبة الى النقطة الاولى ، فيقصد بها ، أن العضو الذى يستعمل فى وظيفة ما ، بدون انقطاع وظيفته ، فانه ينمو ويزداد متانة مع الوضعية الجديدة التى قد تطرأ عليه - أما العضو الذى لا يستعمل فانه سيفقد بالتدريج وظيفته شيئاً بعد شيء ، وبالتالي سوف ينقرض من العضوية البيولوجية التى تملكه - مثال على ذلك : بعض الحيوانات التى تتغذى الآن بدون مضغ فقد فقدت أسنانها بالتدرج ، لان الوظيفة الحركية هنا قد انعدمت ، وبانعدامها ضمرت أسنانها كبعض الطيور .

اما بالنسبة الى الفكرة التالية فتقول : ان كل ما يكتسبه الكائن الحى أو ما يفقده من صفات ستكون لا محالة وراثية وباقية - وان هذه الصفات الجديدة ستنتقل من جيل الى آخر دائما .

ولقد قدم لامارك أمثلة حية ، وشواهد من عالم الحيوان ، وضرب لنا مثلا على ذلك : طول عنق الزرافة فان هذه الصفة تعود وترتد الى أسلاف الزرافات التى اضطرت أن تعيش فى أرض قاحلة نسبيا ، مما أجبرت دائما أن تمد عنقها الى أوراق الاشجار العالية للحصول على قوتها . فنتج عن هذا ازدياد فى صفة طول أعناقها تدريجيا عبر الازمنة الطويلة ، ثم ورثت زرافات الاجيال الحالية صفة طول العنق من الاجيال الماضية . وكذلك الامر بالنسبة الى الحيتان التى فقدت أقدامها بسبب عدم استعمالها فى اليابسة ، فان تلك الاقدام أمست زائدة .

وخلاصة القول يرى لامارك ، أن الكائنات الحية سلكت مسلكا يكفل لها الانتفاع بالبيئة ، وان كل زيادة أو ضمور فى الاعضاء ستنتقل بالوراثة الى الاجيال القادمة بالضرورة .

ولقد بسط فكرته فى هذا النص التالى الذى بين فيه ، ان التغيرات الكبرى فى الظروف الطبيعية سوف تحدث لدى الحيوانات تحولات فى حاجاتها الطبيعية - وبالتالى سوف تنعكس آثارها فى العضوية البيولوجية . وقال : « ان حاجات جديدة جعلت الجزء الفلانى ضروريا ، قد ولدت هذا الجزء حقيقة بواسطة سلسلة من الجهود ، وبالتالى فان استعماله

المستمر قد قواه شيئاً فشيئاً ونمّاه ، وفى الآخر ضخمه كثيراً ، وسترى من جهة أخرى أن الظروف الجديدة والحاجات الجديدة فى بعض الاحوال ، نظراً الى كونها جعلت الجزء الفلانى عديم الفائدة تماماً ، فان عدم الاستعمال بتاتا لهذا الجزء هو الذى سبب له الانقطاع التدريجى فى تلقى أنواع النمو التى تتلقاها الاجزاء الاخرى من الحيوان ، وانه ضمّر ونقص شيئاً فشيئاً ، وفى الآخر عندما انعدم تماماً هذا الاستعمال اثناء مدة طويلة فان الجزء المعنى اضمحل فى نهاية الامر » (42) - لامارك -

2 - تقييم النظرية ومناقشتها :

ان تأثير العوامل الجغرافية على الكائن الحى ، لا يمكن تجاهلها بأى حال من الاحوال كالجفاف والامطار والزلازل والبراكين ... الخ . ثم ان التمرينات الرياضية ، والاعمال التدريبية تنمى عادة العضلات ، وتكسبها عادات حركية مادية . الا ان الدراسات العلمية الجادة ، قد فندت أسس رأى لامارك فى اكتساب أو اضمحلال أحد الاعضاء الكائن الحى . فان التجارب التى قام بها العالم الالمانى فايزمان فى سنة 1887 أكدت أن نظرية لامارك لا تقف على أساس علمى صحيح ، فذلك حين قطع أذنان الفيران لمدة 19 جيلاً متتالياً ، بدون أن يحصل على فأر واحد بدون ذنب . وهذه التجربة أكدت أن الصفات الوراثية تنتقل الى الاجيال التالية عن طريق الخلايا المولدة أى بواسطة المورثات التى تتألف منها الصبغيات بهذه

(42) انظر : المختار من النصوص الفلسفية لمحمود يعقوبى ، ص 245 .

الخلايا (43) . ولا دخل للخلايا الجسمية في نقل الصفات الوراثية .

ولقد بين روستان (44) هذه الحقيقة العلمية فيما يلي : « فان عددا لا يحصى من التجارب أجريت على حيوانات شتى ، قد أثبتت اثباتا حاسما استحالة تغيير المورثات بتأثير البيئة الخارجية أو التمرين العضوى : وبتعبير آخر ، عدم قابلية نقل ما هو مكتسب (من الآباء الى الابناء) .

فمثلا ، لقد عرض ذباب الخل ، منذ تفقيسه لحرارة مرتفعة ، مدى ثلاثين ، خمسين جيلا أعادوا وضع أعقابه في حرارة عادية فلاحظوا عندئذ أنه ينتج ذبابا له عيون مشابهة كل الشبه لعيون اسلافه التى لم تتعرض لآثار حرارة مرتفعة ولقد بحث العلماء أيضا فيما اذا كانت الفئران أو الجرذان التى اكتسبت افعالا منعكسة صناعية يمكنها أن تنقل هذه الافعال الى أعقابها أو أن تنقل اليها على الاقل استعدادا لان تكتسب بسرعة أكبر وبمزيد من السهولة نفس الافعال المنعكسة ، الصناعية . وكانت النتائج سلبية دائما دون أن يطرأ عليها تبديل أو تغيير » (45) .

وهكذا نلاحظ ان العلماء خرجوا بنتائج حاسمة وقاطعة فى علم البيولوجيا . ونلخصها فيما يلي :

(43) انظر : جان روستان - الانسان - ص 102 .

(44) جان روستان : مفكر فرنسى وباحث بيولوجى ولد بباريس - 1894 -

وله نشاط كبير فى العلوم البيولوجية . وآثاره تزيد على 150 كتابا .

(45) انظر : جان روستان - الانسان - ترجمة محمد عبد الرحمن مرجبا

ص 101 .

I - ان الصفات التى يرثها الكائن الحى عن أبويه تكون عن طريق المورثات التى تمثل المواد الاساسية للوراثة النوعية ، ولا دخل هنا للخلايا الجسمية الخارجية فيها .

2 - ان الكائنات الحية التى تكسب سلوكا عن طريق المنعكسات الشرطية ، ليس فى استطاعتها ان تقوم بنقل هذه الصفة المكتسبة لابنائها فمثلا : ابن الفلاح لا يرث صفة الخشونة والصلابة بيديه عن أبيه . وغالبا ما نلاحظ يد الفلاح غير لينة . ثم ان نظرية لامارك لا تصمد أمام العوامل الطبيعية العنيفة ، فكثيرا من الحيوانات انقرضت ، وبادت تحت وطأة العوامل الطبيعية ، ولكن الاصل أن هذه الحيوانات أن تتطور عضويتها البيولوجية ، وفقا لفكرته القائلة : بأن التغيرات فى الظروف الجغرافية تحدث كذلك تحولات أساسية وحيوية فى نمو أعضاء الكائن الحى .

وهكذا تصبح نظرية لامارك هشة أمام التجارب العلمية والحقائق الموضوعية ، وفيها ثغرات كبيرة ، ومن الصعوبة جدا أن تصمد أمام النقد العلمى .

ب - نظرية داروين :

1 - التعريف بصاحب النظرية (46) :

اسمه الكامل : هو داروين تشارلن روبرت ، ولد سنة 1809 م وتوفى سنة 1882 م ، عالم طبيعى ، ومفكر انجليزى

(46) انظر : أصل الانواع لداروين ترجمة اسماعيل مظهر ، ص : 62 - 83

انظر : موسوعة العلماء المخترعين ، ص 123 .

يعد من العلماء القلائل الذين أثروا في الفكر البشرى .
وذلك بكتابه - أصل الانواع الذى أحدث ثورة في علم
الاحياء .

2 - حياته الثقافية :

لقد حاول أول مرة ، دراسة علوم الطب في جامعة أدنبرة
الا أنه هجرها بسبب عدم وجود ميل نحو الطب عنده ، حين
لاحظ أن العمليات الجراحية تعالج بدون تخدير الذى لم يكن
معروفا في تلك الايام . وعزم داروين بعد ذلك ، التخصص
في العلوم اللاهوتية بجامعة كمبودج ، والتحق بها عام 1827
الا أن هذه الدراسة ، لم يجد فيها ضالته ، فكان يسعى
للحصول على درجة علمية مشرفة لاشباع نهمه العلمية حول
التاريخ الطبيعى ، وفى خلال نشاطه العلمى في جامعة
كمبودج درس قصة عالم التاريخ الطبيعى . للكسندرفون
هوملدت - وانعكست مغامراته البحرية في تفكير داروين ،
ويذكر أصدقاء داروين فى شبابه . أنه كان له شغف كبير
فى جمع وتصنيف النباتات والحشرات التى كان يأخذها فى
رحلاته - هذه العوامل هى التى دفعته الى المشاركة فى بعثة
بيقل التى قامت برحلتها حول العالم 1831 - . ان هذه الرحلة
العلمية ، قد أثرت فى تفكيره ، وتفكير العالم بكامله ، حين
أبرز نظريته المعروفة - الانتخاب الطبيعى أو بقاء الاصلح
فى كتابه المشهور - أصل الانواع - الذى يعد ثورة ، فى
علم الأحياء ولا سيما فيما يتعلق بالانسان .

أهم مؤلفاته (47) :

استمر داروين فى خدمة الفكر العلمى ، وذلك بآثاره القيمة ومن أهمها :

- 1 - مذكرات رحلة حول العالم 1842 .
- 2 - مشاهدات جيولوجية فى أمريكا الجنوبية 1846 .
- 3 - أصل الانواع عن طريق الانتخاب الطبيعى 1859 .
- 4 - أصل الانسان 1871 .
- 5 - التعبير عن العواطف فى الانسان وفى الحيوان 1872 .
- 6 - النباتات آكلة الحشرات 1875 .

3 - العوامل المؤثرة فى فكر داروين :

أولا : رحلة بيقل .

قال داروين : « ان رحلة البيقل (48) أهم حدث فى تاريخ حياتى بدون منازع ، وهى التى وجهتنى التوجيه القويم الى

(47) انظر : أصل الانواع لداروين ترجمة اسماعيل مظهر ، 91 - 98 .
الموسوعة ، العربية الميسرة .

(48) ان رحلة بيقل استغرقت خمس سنوات كاملة . انطلقت سفينة بيقل من ميناء (ديفون بورت) البريطانى فى 27 ديسمبر سنة 1831 ، طافت السفينة حول شواطئ أمريكا الجنوبية وبعض جزر فى البحر الهادى لا سيما جزر الجالاباجوس - وتاهيتى وأستراليا وتسمانيا . والموريتوس ورأس الرجاء الصالح فى جنوب أفريقيا . وعادت هذه السفينة سنة 1836 ، الى بريطانيا .

خطة عمل في الحياة ، وأطلقت خلالها عن كُتب على ما كنت أتوق اليه من شتى فروع التاريخ الطبيعي - . ويقول كذلك « لقد شعرت بأني مدين لهذه الرحلة بأول ما حزت من مرانة عقلية أو تحصيل علمي » (49) . ان هذه الرحلة العلمية قد أثرت فيه تأثيرا قويا ، وزودته بحقائق طبيعية مهمة جدا ، حيث أقام عليها أسس مذهبه التطوري . ولقد لاحظ داروين في هذه الرحلة العملية ، أنواعا معينة من النباتات والحيوانات المتشابهة في أمريكا الجنوبية وبعض الجزر ، ولكنها تختلف من حيث الارض التي تعيش فيها . ولا سيما في شواطئ أمريكا الجنوبية وجزر المحيط الهادى ، فربط بين هذه الملاحظات المنهجية والتاريخ الطبيعي الذى درسه . مع الدراسة الجيولوجية التي قام بها في مقاطعة (ويلسن البريطانية) . وكانت هذه الاعمال الميدانية عاملا من عوامل تكوين نظريته التطورية . ولقد التمس فكرته التطورية عند مربى الحيوانات البرية ، فهؤلاء لا يختارون الا العناصر القوية عن طريق الاختساب . أما العناصر الضعيفة فانها تطرح . هذه العوامل التي ذكرناها قد دفعته الى أن يقول : بأن الانتقاء الطبيعي أمر لا يمكن تجاهله بأى حال من الاحوال

4 - مالتوس وداروين :

قبل أن نستمر في البحث ، يحسن أن نشير الى أن داروين قد وجد ضالته الثانية ، عند المفكر الانكليزى مالتوس (50)

(49) انظر : أصل الانواع ، ص 73 .

(50) مالتوس : (1766 - 1834 م) مفكر انكليزى . عالج الظاهرة الاقتصادية في نمو السكان . أهم آثاره مبادئ الاقتصاد السياسى .

حيث أعلن هذا في كتابه - بحث في مبادئ السكان - عن الشروط الضرورية لتحديد النسل ، وألا سوف تشهد الانسانية حروبا ومجاعة رهيبة نتيجة الانفجار الديمغرافي على حساب الانتاج الاقتصادى . ويرى أن نسبة تزايد عدد السكان لا تسير فى الخط الموازى مع الانتاج الاقتصادى ، ويرى أن نسبة تزايد عدد السكان لا تسير فى الخط الموازى مع الانتاج الاقتصادى ، فالسكان فى نظره يتكاثرون على حسب المتواليه الهندسيه ، أما الموارد الاقتصاديه فهى تسير على حسب المتواليه الحسابيه (51) .

ومن هذا المنطلق فان النمو الديمغرافى يستمر على النحو التالى : 1 - 2 - 4 - 8 - 16 - 32 - 64 - الخ . أما المواد الغذائيه فانها تزداد على النحو التالى : 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, ... الخ . ثم يخرج مالتوس بعد هذه التحليلات الرياضيه ، باختلال التوازن الشديد بين العامل الديمغرافى والعامل الاقتصادى أى أن نسبة زياده السكان تفوق نسبة زياده المواد الغذائيه . ومن هنا خرج مالتوس بنظريته المتشائمة القائلة بأن مساحة الاراضى الزراعيه محدوده ، فلا يمكن أن تلبى حاجات سكان العالم بأى حال من الاحوال . وتنبأ بحتمية الصراع بين الاقوياء والضعفاء للحصول على القوت . أما الضعفاء فسوف يكون مصيرهم الفناء ، لانهم لا يمكنهم مقاومه الجوع ، والبؤس ، والحروب . وهكذا أخذ داروين نواة فكرة مالتوس فطبقها على عالم الكائنات الحيه ، فيقول فى هذا الصدد ما

(51) انظر : الاقتصاد السياسى لعزى رحب ، ص 131 - 133 .

يلي : « ان التناحر على البقاء نتيجة محتومة لما في طبيعة العضويات من قابلية الازدياد والتكاثر . وكل كائن في الوجود ، ان أنتج في حياته عددا وافرا من البيض أو البذور ، فلا بد من أن ينتابه الهلاك في بعض أدوار حياته ، أو في غضون بعض الفصول أو السنين اتفاقا ، والا فان عدد أفراده يتكاثر بنسبة هندسية لا يتصورها الوهم . فاذا أمعن بعض الانواع في التزايد بنسبة كبيرة أو قليلة ، فان كل الانواع لا يتسير لها أن تمضي خاضعة للنسبة ذاتها . والا ضاق عليها العالم بما وسع فضاؤه . تلك هي القاعدة التي عزاها (ملتوس) الى عالمي الحيوان والنبات وثبتها عليهما تثبيتا » (52) .

هكذا يقر داروين أن الكائنات الحية ، مهما كانت فانها مرتبطة بالعاملين الاساسيين العامل الغذائي والتناسلي . وان المواد الطبيعية شحيحة وعاجزة كل العجز عن توفير المواد الغذائية لكل كائن حي .

اذن هناك انتقاء ، واختيار العناصر القوية ، من قبل البيئة الجغرافية ، التي تختار العناصر التي تتلاءم مع طبيعتها . وهذا القانون الطبيعي سماه داروين - الانتقاء الطبيعي ، أو تنازع البقاء . وقال داروين في هذا الشأن ما يلي : « ان الكائنات العضوية كافة ، مهما كانت صفاتها وطبائعها ، مسوقة الى التكاثر بنسبة هندسية ذات نظام خاص وأن كلا منها لابد من أن يتناحر للبقاء مع غيره ، وأن ينزل

(52) انظر : أصل الانواع لداروين ، ترجمة اسماعيل مظهر ، ص 194 .

به الهلاك فى بعض أدوار حياته الطبيعية ، أو خلال الفصول أو الاجيال أو الفترات الزمانية المتتالية » (53) .

5 - الوراثة وعلاقتها بالنوع :

ولقد تحدث داروين عن فكرة الوراثة فيقول : ان الكائن الحى سينقل خصائصه الجسمية وصفاته الجوهرية الى أبنائه عن طريق الوراثة ، كبعض الحيوانات المجترة ، فلا يمكن لها البقاء والمحافظة على وجودها ، الا اذا كانت ذات قرون أطول ، فاذا ما تركت نسلا بدون هذه الصفة أصبح التطور لا معنى له .

اذن أن الصفات المميزة القوية هى التى ساعدت هذه الاجيال على العيش والبقاء والتناسل . ومن هنا يرى أن الصفات تعود بالدرجة الاولى الى الوراثة . أما الصفات المكتسبة فتكون فى الدرجة الثانية ، ويقول فى ذلك ما يلى : « فالطريق السوى عند تدبر هذا الموضوع فى جملته ، هو أن نعتبر توارث أية صفة مهما كانت هى القاعدة ، وأن القول بعدم توارثها هو الخروج على السنة » (54) .

6 - خلاصة أسس النظرية الداروينية،تتلخص على الوجه الآتى :

1 - ان الاحياء كلها نشأت عن طريق التطور والتسلسل من أصل واحد ، سواء فى عالم النباتات أو الحيوان ، وان

(53) انظر : أصل الانواع لداروين ، ترجمة اسماعيل مظهر ، ص 212 .

(54) راجع أصل الانواع لداروين ، ص 132 .

النوع البشرى قد انحدر من النوع الحيوانى - وهو لم يخلق مستقلا من أول مرة - والاصل الاول للحياة هو البروتوبلازم وهى الذخيرة أو الاصل الذى تعود اليه كل صور الحياة من نبات وحيوان وانسان (55) .

2 - الأنواع الموجودة على كوكبنا الأرضى ، من الكائنات الحية ، تتزايد على حسب المتوالية الهندسية - أما الموارد الاقتصادية فزيادتها تكون على حسب المتوالية الحساسة - مما يؤدى بالضرورة الى تنافس وتنازع بين الكائنات الحية من أجل الحصول على المورد الغذائى - فلا يبقى الا النوع القوى أى أن هناك صراعا مريرا من أجل البقاء والحياة . أما الضعيف فيموت حتما .

3 - ان الطبيعة تعمل على التوازن بين أنواع الكائنات الحية الواحدة ، وفق البيئات المختلفة ، فلا يعيش فيها الا القوى الذى يتلاءم مع تلك البيئة . وهذه الفكرة سماها داروين - الانتخاب الطبيعى .

4 - ان الصفات القوية التى يكتسبها الكائن الحى ، بواسطة الانتخاب الطبيعى سوف تنتقل الى الابناء عن طريق الوراثة ، ومن هنا يكون لجيل الابناء فرصة التكاثر والبقاء ولا يبقى بين هذا النوع كذلك الا القوى .

5 - بعد هذه العناصر التى ذكرناها ، يضيف داروين ، عنصرا آخر يتمثل فى الاصطفاء الجنسى لتعليل بعض الصفات

(55) راجع اصل الانواع لداروين ، ص : 39 - 42 .

الثانوية فى عالم الحيوان كبعض الالوان الزهية التى تعد من صفات الزينة والاغراء الجنسى . وهذه الحالة لا تحصل أى نوع من أنواع الصراع الطبيعى ، ولكن داروين يعلل هذه الظاهرة بالانتخاب الجنسى . ويقول فى كتابه - أصل الانواع - ص 227 ما يلى : « وانى لاعتقد الآن اعتقادا لا يوهنه الشك بأنه ان كانت ذكور الحيوانات واناثها تتفق فى العادات الخصيصة بها فى حالات حياتها ، فانها تختلف فى تراكيبها وألوانها وأشكالها الظاهرة ، وان أمثال هذه الفروق لا يمكن أن تعزى لغير مؤثرات الانتخاب الجنسى ، وتعليل ذلك مقصور على أن بعض الذكور كان لها من أسلحتها ، أو عدد الدفاع عن أنفسها ، أو جمال أشكالها ، ما اجتذب اليها الاناث فتفوقت على غيرها من الذكور وخلفت نسلا ينزع اليها دون غيرها فى أوصافها تلك » .

وهكذا اذن تطبق المدرسة الداروينية أصولها على تطور الكائنات الحية بالطريقة التى رأيناها .

7 - تقييم ومناقشة نظرية داروين :

ان تأثير العوامل الجغرافية على الكائنات الجامدة والحية على السواء . لا يمكن تجاهلها بأى حال من الاحوال .

وهذه الظاهرة نلمسها فى حياتنا العادية والعلمية . ولكن المشكل يكمن فى أن يكون هذا العامل هو الحاسم والقاطع فى عملية التطور ، فهذه المشكلة لا تزال محل أخذ ورد بين العلماء الطبيعيين ولجيولوجيين ، ونحن بدورنا نورد أهم الحجج التى عارضت المذهب الداروينى ونلخصها فيما يلى :

١ - ان الطبيعة التى نشاهدها ، لا تزال توجد فيها الحيوانات الضعيفة والقوية ، بدءا بالحيوانات الاولى واللافقرية والقوارض والثديية ... الخ . ولو كان قانون البقاء والانتخاب الطبيعى صحيحا بالنسبة الى الاقوى والاصالح فقط . وعندئذ سوف تنقرض كل الحيوانات الضعيفة نسبيا . غير أن الملاحظات اليومية من حياتنا العادية والعلوم الطبيعية ، تؤكد أن الحيوانات الضعيفة لا تزال تعيش وتتمتع بخصائصها فى البحار والاراضى منذ القديم الى حد الساعة .

2 - أما بالنسبة الى العوامل الطبيعية الطارئة كظاهرة الزلازل والبراكين والجفاف والفيضانات التى تحدث تطورات وتغيرات فى عالم الجغرافية وعالم الاحياء على السواء . ومن هنا نطرح السؤال المشروع هل الطبيعة لا تختار الا الانسب والقوى ليتلاءم مع المحيط الجديد نتيجة الكارثة الطارئة ؟ ولكن مهما يكن من أمر ، فلا بد أن نشير فى هذه الحالة الى أن ظاهرة الصدفة لا يمكن تجاهلها بأى حال من الاحوال .

وهكذا قد تنجو بعض الحيوانات الضعيفة عن طريق الصدفة . ولا أدل على ذلك فى حالة الفيضانات الفجائية التى قد تطفئ على منطقة معينة فى زمن محدود ، وقد تقضى على الحيوانات القوية . ولكن عن طريق الصدفة المحضة قد تكون بعض الحيوانات ماثثة على قمة جبل أو غادرت مكانها قبل غيرها ، فنجاتها هنا قد جاءت صدفة ، فلا محل اذن للصفات القوية الخاصة لهذا النوع فى حالة النجاة .

3 - لقد بينت الدراسات الحفرية ، أن كثيرا من نباتات وحيوانات العالم لم تتغير فى طبيعتها البيولوجية ، رغم مرور قرون عديدة عليها ، مع تأثيرات كثيرة وشديدة فى تطور وتغير المناخ كالحیوانات المحنطة التى وجدت فى مصر ، فانها لا تختلف فى شىء عن الحیوانات الراهنة (56) .

4 - ثم نلاحظ هناك تفاوتاً واضحاً جداً ، فى سلوك بعض الحیوانات ، وهذا يعود الى ذكائها النسبى كالقردة مثلاً - واذا كان هذا السلوك يتجه دائماً نحو الاصلح - ولكن لماذا لم تغير هذه الحیوانات من محيطها الخارجى !! كما غير الانسان العاقل محيطه . بل بقيت هذه الحیوانات كما هى منذ ملايين السنوات . ولم نسمع مرة واحدة فى حياتنا العادية أو العلمية . أن بعض هذه الحیوانات الذكية نسبياً استخدمت حیوانات أخرى . كما يسخر الانسان هذه الحیوانات فى صالحه ولكن هذا الذكاء النسبى بقى ثابتاً رغم المحاولات التى قام بها بعض العلماء لتهذيب بعض الحیوانات سيما القردة التى تعلمت سلوكاً معيناً عن طريق المنعكسات الشرطية - ولم تستطع نقل هذا السلوك المكتسب النسبى الى أبنائها . لانها تفتقر الى الذكاء النظرى الذى يتمتع به الانسان العاقل .

5 - ثم هناك مشكلة أخرى معقدة تفرض نفسها بنفسها على الانسان المنتبه والمتأمل فى العضوية البيولوجية .

(56) راجع : محمد سعيد رمضان البوطى - العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر - ص 239 .

ان هناك بعض أعضاء معقدة جدا كحاسة البصر ، والسمع والشم - اما أن تخلق دفعة واحدة ، ومتكاملة مع الكائن الحي أو لا تخلق لتحقيق الوجهة الملائمة مع الوضعية الجديدة ، لان البقاء الاصلح هو وحده الذى يحقق هذه الغاية ، على حسب رأى داروين . وان الانتخاب الطبيعى لن تكون له فائدة الا اذا أدت العضوية وظيفتها كاملة مع الموقف الجديد الطارئ . ففى هذه الحالة فان المذهب الداروينى يعجز عن تعليل هذه الظاهرة المعقدة ، ويعترف داروين بهذه المشكلة ، ويقول فى شأنها : « اذا استطاع أحد أن يثبت أن أى عضو من الاعضاء المهيبة التركيب والراقية التكوين (57) ، قد أمكن أن يستحدث من غير أن يكون لتحول الصفات التدرجى ، على مدى الازمان ، يد فى استحداثه ، فان مذهبه لا محالة ينهار من أساسه » (58) .

فهكذا اذن شعر داروين نفسه بهذا الاشكال - ولعل الاجابة الثانية سوف تكون من خلال المدرسة الداروينية الحديثة لمعالجة هذه الثلمات القائمة فى أسس المدرسة الداروينية . ولكن هل سيكون الجواب حاسما أم مبتورا ؟ والحكم سيكون فى الفصل القادم ان شاء الله .

ج - الداروينية الحديثة :

ان الانتقادات الموضوعية الكثيرة التى وجهت الى نظرية داروين ، والثغرات التى مست أسسها ، التجأ بعض

(57) اشارة الى الاعضاء التى بلغت درجة التعقيد .

(58) أصل الانواع ، ص 355 .

2 - أما بالنسبة الى العالم الثانى فهو هرمان مولر (63) الذى اكتشف طفرات جديدة نتيجة لتجاربته على ذباب الفاكهة عن طريق مفعول الاشعة السينية (64) .

ب - أسس المدرسة الداروينية الحديثة :

I - ان المدرسة الداروينية الحديثة ، تحاول أن تجد تبريرا ، وتفسيرا لظاهرة التغيرات الفجائية القائمة على أساس الطفرة التى تحدث فجأة وبالمصادفة ، لا على أساس الانتخاب الطبيعى أى البقاء للأصلح كما يقول داروين : وهذه الصفة الجديدة التى تظهر فى الابناء تختلف عن صفة الآباء .

2 - هذه الطفرة الكامنة توجد فى الأصل ، وتعود بالدرجة الاولى الى عوامل داخلية تتحكم فيها الجينات ، وقد تحدث مرة واحدة فى طبيعة الكائنات الحية .

3 - تحدث الطفرة فى أى عضو من أعضاء الكائن الحى عن طريق الزيادة أو الانقاص منه ، أو ازالته كليا .

4 - هذه الطفرات قد تورث ، وتنتقل الى الاجيال القادمة وقد تتغير نتيجة ظهور طفرة أخرى ، وقد تكون مفيدة للكائن الحى . ولكن غالبا ما تكون الطفرات مضرّة بالكائنات الحية .

(63) عالم احياء أمريكى (1890 - 1967) أجرى تجارب ودراسات على الجينات ذباب الفاكهة . حصل على جائزة نوبل 1946 للفيزيولوجيا .

(64) راجع : الوراثة لجوديث راندال ، ص : 62 - 63 .

لا شك أن هذه النظرية ، قدمت استغلالها في المدارس المادية (65) ، وتقول : ان الطفرات تزود الموجودات الحية بالتغيرات اللازمة لعملية البقاء - مثلاً - طول عنق الزرافات يعود الى تراكم الطفرات على مر الاجيال المتعاقبة ، وبذلك تمكنت الزرافات من الحصول على غذائها من الاشجار العالية ، وبذلك كتب لها البقاء والتناسل .

ج - مناقشة أسس المدرسة الداروينية الحديثة :

ان التغيرات الافتجاجية ، مهما كانت لا تستطيع أن تتلاءم مع البيئة الطبيعية نظراً لحالتها الشاذة ، ولا تستطيع العيش لان هذه الطفرة كما رأينا سابقاً ليس لها علاقات بالتغيرات التي تطرأ على البيئة الجغرافية . ثم ان هذه الطفرة تكون في أكثر الحالات مضرّة للكائن الحي .

فان الجينات المتغيرة لا تجلب لحاملها خيراً ، بل تجعله لا يتأقلم مع المحيط الخارجى ، ثم ان استمرارها فى الحياة لا يمكن أن يكون الا عن طريق التزاوج بينها لا غير .

ولكن المشكلة تزداد تعقيداً ، حين نتوغل فى تاريخ العلوم الطبيعية . ونتساءل بكل موضوعية : متى ظهرت هذه الطفرة بالنسبة لاي حيوان ما ؟ وكيف اختفت هذه الطفرة فجأة ؟ ما هى العوامل الكفيلة لحدوثها ؟

بعد طرح هذه الاسئلة نعتقد أن هذه المدرسة الجديدة لا تستطيع أن تقدم لنا الجواب الكافى حول هذه المشكلة .

(65) راجع الموسوعة الفلسفية السوفياتية . ص : 286 - 287 .

د - ماذا تبقى من نظريات التطور ؟

ان المدارس اللاماركية والداروينية القديمة والحديثة ، ما زالت تلاقي صعوبات ، ولم تستطع هذه المدارس أن تحل المشكلة التي أثارتها ، بل خلقت ثغرات واضحة جدا ، من خلال دراستها لظاهرة التطور .

فهل يعنى هذا اخفاق مذهب التطور ذاته ؟ ويقول بول موى فى هذه المسألة ما يلى : « وهكذا يواجه مذهب التطور عند دارون أو لامارك عقبات لا سبيل الى الغلبة عليها . فهو يصطدم ، عند لامارك ، بالتجربة ، وعند دارون ، بعدم الاحتمال . فهل يعنى هذا اخفاق مذهب التطور ذاته ؟ هذا ما ظنه البعض . ولكن ينبغى لنا أن نميز بين نظرية التطور والمنهج التطورى . فاذا كانت النظرية التطورية تتخبط اليوم فى الصعاب التى أوضحناها ، فقد تبقى لدينا المنهج التطورى » (66) .

ويقصد هنا بالمنهج التطورى ، البحث العلمى الذى يقوم بدراسة ورسم خريطة جغرافية وتاريخية لتفسير أصل الانواع الحية والبحث عن الانواع المنقرضة ، فذلك عن طريق السلالة التى تنتمى اليها ، ويدخل الانسان العاقل فى هذه الدراسة لان له رابطة مع الحيوان .

(66) المنطق وفلسفة العلوم لبول موى ، ص 221 . ترجمة فؤاد حسن زكريا .

فالنظرية التطورية لها أبعادها الخطيرة في البحث عن العلاقة الجوهرية بين الانسان والاسلاف الحيوانية من حيث التطور ، والبحث عن الحلقة المفقودة .

ومهما يكن من أمر . فان الاسلام قد بين خلق الانسان ، وخصائصه ، وطباعه ، وغرائزه ، ودوافعه الفطرية والمكتسبة صراحة أو ألمح اليه ، فذلك من خلال القرآن الكريم .

ونحن نرى لابد أن نقيم النظرية التطورية في مشكلة أصل الانسان ، وتطوره مع أدلتها ، والالتزام بالروح العلمية التي تتطلب من الباحث أن يلتزم الحقيقة دون سواها ، والحرص على اثبات هذه الحقيقة عن طريق النقد الموضوعي .

ونحن سوف نشرح هذه المشكلة في الفصل الثالث ان شاء الله .



بعد طرح هذه الامثلة نعتقد أن هذه المدرسة الجديدة لا بد وأن تكون قد حققت أهدافها في إثبات خطأ النظرية (50)

(50) راجع الموسوعة الفلسفية السوفياتية . ج 1 - 206 - 207

١ - قصة نشأة الإنسان وتطوره :

إن نظرية التطور ، تعتبر أن الإنسان من أصل حيواني ،
وتتطور اليه ككائن حي ، تدرج وتطور في مراحل التطور ،
تحت ظروف الطبيعة التي طوره الى حالت الراهنة .
وعلى أية حال ، فالمدرسة الداروينية ترى أن الإنسان قد
التطور من الأسلاف الحيوانية وأنه لم يخلق مستقلا .

الفصل الثالث

قرائن المدرسة الداروينية في قصة نشأة الإنسان وتطوره

إن علم الجغريات يبحث في بقايا الكائنات الحية التي
كانت تعيش على الأرض منذ الأزمنة السحيقة ، وتسمى
بقايا تلك الكائنات بالجغريات .

وإن دراسة علم الجغريات ، له اتصال وثيق مع نظرية
التطور ، فهذا العلم يقدر لنا العمر النسبي لعصر الأرض ،
لأن بعض أنواع الكائنات تعيش لفترات طويلة أو قصيرة
من الزمن ، وبالتالي يصبح من الأكد دراسة الصخور ،
وأنواعها ، والحيوانات والنباتات التي ارتبطت دوما
بالجغرافيا الطبيعية ، لأن جميع المخلوقات الحية تتأثر
بالعوامل الجغرافية ، وبالتالي تؤثر تأثيرا قويا في الكائنات

أ - قصة نشأة الانسان وتطوره :

ان نظرية التطور ، تعتبر أن الانسان من أصل حيواني ، وتنظر اليه ككائن حي ، تدرج وتطور في مراحلہ القديمة ، تحت ظروف الطبيعة التي طورته الى حالته الراهنة .

وعلى أية حال ، فالمدرسة الداروينية ترى أن الانسان قد انحدر من الاسلاف الحيوانية وانه لم يخلق مستقلا .

ب - أدلتها :

الدليل الاول : من علم الاحافير والجيولوجيا :

ان علم الحفريات يبحث في بقايا الكائنات الحية التي كانت تعيش على الارض منذ الازمنة السحيقة ، وتسمى بقايا تلك الكائنات بالحفريات .

وان دراسة علم الحفريات ، له اتصال وثيق مع نظرية التطور ، فهذا العلم يقدر لنا العمر النسبي لعمر الارض ، لان بعض أنواع الكائنات تعيش لفترات طويلة أو قصيرة من الزمن ، وبالتالي يصبح من الاكيد دراسة الصخور ، وأنواعها ، والحيوانات والنباتات التي ارتبطت دوما بالجغرافيا الطبيعية ، لان جميع المخلوقات الحية تتأثر بالعوامل الجغرافية ، وبالتالي تؤثر تأثيرا قويا في الكائنات

الحياة مما جعل الاحياء تستمر في الوجود ، وتختلف من بيئة الى أخرى ومن عصر الى آخر .

ومن هنا ، يرى علماء الجيولوجيا والبيولوجيا التطوريين أن حياة الاحياء تتصارع مع البيئة الطبيعية الجديدة ، اما أن تموت أو تتطور في البقاء والحياة . وهذا الصراع يسمى عادة عند المدرسة الداروينية - الانتخاب الطبيعي - غير أن السجل الجيولوجي لم يسلم من فجوات ، وفقدان العديد من العلاقات بين الانواع .

رأى داروين في السجل الجيولوجي :

يقول داروين في هذا المضمار ما يلي : « لا يخلجنا الريب وفقاً للاعتبارات التي أدلينا بها من قبل ، في أن السجل الجيولوجي ، اذا أخذ في مجموعه ، ظهر على جانب عظيم من النقص . بيد أننا اذا حصرنا البحث في تكوين بذاته ، صادفتنا صعاب شتى ، يستعصى معها أن نعلم لماذا لا نجد فيه كثيراً من الضروب المتدانية في التدرج النشوئي تربط بين الانواع المتقاربة الانساب التي وجدت منذ نشأته ، وفي آخر عصور تكونه » (67) .

ولعل في هذا المجال أن نشير الى المعطيات التي ينطلق منها الجيولوجيون في تقسيم تاريخ الارض ، ضمن مراحل زمنية كبرى متوغلة في القدم .

ولقد قسم الزمن الجيولوجي الى أربعة أقسام يعبر عنها بالاحقاب . وهذه بدورها تقسم الى عصور .

(67) أصل الانواع لداروين ، ص 567 .

والجدول التالي يوضح تقسيم الزمن الجيولوجي العام من حيث العمر والاحقاب والعصور .

الجدول العام للزمن الجيولوجي وتقسيمه الى احقاب وعصور (68)

العصر	الاحقاب	العمر بملايين السنين
البليوستوسين والحديث	الرباعي	1
الباليوسين		10
الميوسين	حقبة الحياة الحدثية	20
الاوليجوسين		10
الايوسين		20
الطباشيري		55
الجوراسي	حقبة الحياة الوسطى	45
الترياسي		35
البرمي		30
الكربوني		60
الديفوني	حقبة الحياة القديمة	40
السيلوري		30
الاردوفيشي		60
الكمبري		80
عصور ما قبل الكمبري	ما قبل الكمبري	2500

(68) راجع : الارض - لآرثر بيذر - ص 137 .

البحر - ليونارد انجيل ، ص 39 . - ١٧٠٠ - قبل الميلاد (69)

الجيولوجيا - لعبد الملك الخيال ، ص 21 . - ١٧٠٠ - قبل الميلاد (70)

فبعد القاء لمحة فاحصة على الجدول العام للزمن الجيولوجى وعن أهميته ، فانه يجدر بنا ، أن نقوم بتحليل العصر الرباعى الذى يعد جزءا من حقبة الحياة الحديثة . وفى فترة البليستوسين كانت الثلوج قد غمرت شمال أوروبا وأواسط آسيا وأمريكا الشمالية والوسطى ، ومن هنا سميت هذه الفترة بالزمن الجليدى (69) . الا أن الاحوال الجوية عادت الى الدفء تدريجيا فى أواخر ذلك العصر ، حتى وصلت الى حالتها الراهنة . وفى آخر الزمن الرابع تراجع المناخ نحو الجفاف ، وظهرت الصحارى ، والكثبان الرملية فى داخل القارات - وتميزت هذه الفترة بظهور الانسان- ويستدل على ذلك على بعض الرسوم التى اكتشفت على جدران الكهوف القديمة وبعض الاحجار المهدبة والتى لا يمكن أن تكون الا من الانسان العاقل الذى بلغ مستوى من الذكاء (70) .

الدليل الثانى : من الجغرافية الحيوية :

تهتم الجغرافية الحيوية بدراسة التوزيع الجغرافى للنباتات والحيوانات على سطح كوكبنا الارضى . ولقد بين العلماء أن للنباتات والحيوانات توزيعا خاصا على سطح الارض ، رغم التشابه العام فى المناخ .

فان هذا الاختلاف فى عالم النبات والحيوان يعود الى التطور الطبيعى ، الذى استقل استقلالاً طبيعياً - بعامل

(69) المكتبة العلمية - الارض - ص 137 .

(70) موجز تاريخ العالم ، ص 41 .

العوائق الطبيعية الحاجزة كالجزر والصحارى والبحار التى كانت فى الماضى السحيق متصلة مع بعضها بعضا . يقول داروين فى هذا المجال : « ونجد من ناحية أخرى أن هنالك درجة كبيرة من المشابهة بين جزر (جلا باجوس) (71) وأرخبيل الرأس الاخضر (72) من حيث طبيعة التربة البركانية والاقليم والارتفاع وسعة الجزر ، ولكن ما أشد الاختلاف والتباين بين قطانهما (73) . فان قطان جزائر الرأس الاخضر تنتمى الى أهال افريقية ، كما تنتمى قطان جزائر (جلابا جوس) الى أهال أمريكية . وان حقائق مثل هذه لا تقبل أى تفسير بمقتضى الرأى السائد من القول بالخلق المستقل » (74) .

الدليل الثالث : من الاعضاء الاثرية :

نلاحظ أن بعض الحيوانات لها أعضاء تامة وظاهرة ، ولكن بعض منها لها أعضاء ضامرة ، وذلك لفقدان وظيفتها الفزيولوجية الحركية التى انعدمت عند هذا الحيوان . وهذه الظاهرة الاثرية تعد دلالة واضحة أن العضو كان يقوم بوظيفته ، لما كان الكائن الحى فى حاجة اليه . الا أن تلك الوظيفة شرعت تخف شيئا بعد شيء وتختفى ببطء ، حتى غابت الوظيفة كليا وذلك لفقدان أهميتها بالنسبة للكائنات

(71) جلاباجوس : مجموعة جزر تقع فى المحيط الهادى تبعد 1050 كلم عن الاكوادور .

(72) أرخبيل الرأس الاخضر : مجموعة جزر تقع فى المحيط الاطلسى .

(73) نوع من الطيور .

(74) أصل الانواع لداروين ، ص 690 .

التي تطورت عن هذا الاصل . وهذه الحجة تعد في نظر داروين من أقوى الأدلة على وجود أصل مشترك لتلك الحيوانات التي نشأت عنه ، كما أنه يدل على التدرج في التطور بالنسبة الى شجرة الاحياء الحيوانية .

ولا أدل على ذلك الزائدة الدودية في الانسان تعتبر بالنسبة الى الانسان عديمة الفائدة لان غذاءه اليوم ، أصبح لا يركز على السيلولوز والالياف ، اذن أن هذا الجزء قد فقد وظيفته ، وأمسى بدون فائدة .

أما بالمقابل فان الحيوانات الثديية الآكلة للاعشاب ، لا يمكن بأى حال من الاحوال الاستغناء عن الزائدة الدودية لانها تقوم بعملية الهضم للمواد السيلولوزية . ويقول داروين في هذا الشأن ما يلي : « عندما تختزل الاعضاء في الحجم ، اما نتيجة لعدم الاستعمال واما نتيجة للانتخاب ، فسيكون الكائن الحى على وجه العموم قد بدأ يعتمد على نفسه في هذه المرحلة .

وأخيرا فان الطوائف المختلفة من الحقائق التي درست في هذا الفصل ، يبدو لي أنها تعلق بكل وضوح أن الانواع والاجناس والفصائل التي لا تعد من الكائنات العضوية التي تعمر هذه الدنيا قد انحدرت جميعا ، كل في حدود طائفته أو مجموعته ، من جد مشترك ، وأنها جميعا قد تحورت خلال تاريخ ذلك الانحدار ، لدرجة أنني لابد أن أقنع بهذا

المذهب وأتبعناه حتى ولم يكن مدعما بحقائق أخرى أو بجدل آخر» (75) .

الدليل الرابع : من علم التصنيف :

فى الماضى كانت المملكة الحيوانية تنقسم الى شقين :

أولا : الفقاريات - أى الحيوانات التى لها عمود فقرى .

ثانيا : اللا فقاريات - أى الحيوانات التى ينعدم فيها العمود الفقرى .

غير أن العلوم الطبيعية الآن أصبحت تقسم المملكة الحيوانية الى ما يلى (76) :

أولا - الاوليات أى حيوانات جسمها يتكون من خلية واحدة كالسوطيات والجراثيميات .

ثانيا - البعديات يتكون فيها الجسم من عدة خلايا التى قد تصل الى ملايين .

ومهما يكن من أمر فلا بد أن نشير الى التصنيف المعمول به فى العلوم الطبيعية ، حيث يقسم العلماء المملكة الحيوانية الى قبائل ، والقبيلة تقسم الى رتب ، والرتبة تقسم الى فصائل ، والفصيلة تقسم الى عدة عائلات ، والعائلة تضم عدة أجناس ، ويتبع كل جنس النوع .

(75) أصل الانواع لداروين ، ص 745 .

(76) انظر : كتاب المعرفة - الحيوان - ص 20 .

ولا جرم أن المقارنة بين جذور الجذع ، والبحث عن الاصل المشترك للقبائل ، لا يزال عقدة ، ولا سيما صلة القرابة بين الانسان العاقل والقردة العليا .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الاصل المشترك الذى انحدر منه القردة العليا والانسان لم يعثر عليه لحد الساعة على حسب نظرية المذهب الداروينى (77) ، وعدم اكتشاف هذه الحلقة ، يعد من أكبر الضربات والثغرات التى وجهت لمدرسة داروين فان داروين نفسه قد أشار الى صعوبة هذه المشكلة فى التصنيف فقال : « ربما لن يكون فى مقدورنا استجلاء طلسم شبكة علاقات القرى المعقدة بين أعضاء أى طائفة من الطوائف ، ولكن اذا كان لدينا هدف نعرفه ، واذا كنا لا ننظر الى خطة مجهولة فى نظام الخلق ، فقد نوفق فى احراز تقدم مؤكد ولو أنه بطيء » (78) .

الدليل الخامس : من علم الاجنة :

لا شك أن الحيوانات ، تتباين أكثر فى مظهرها الخارجى ، حين يكتمل نضجها الفزيولوجى . ولكن أجنحتها تتشابه فى أيامها الاولى ، تشابها كبيرا .

اذن أن علم الاجنة يفسر أن جنين أى نوع مهما كان يجتاز جميع المراحل التى يجتازها النوع الادنى منه ، حتى قال

(77) انظر : الانسان لجان روستان ، ص 112 .

أصل الانواع لداروين ، ص 41 .

(78) أصل الانواع لداروين ، ص 723 .

أرنست هايكل (79) الذى يعد من أنصار المدرسة الداروينية ان تاريخ الجنين يعيد تاريخ الكائنات السابقة .

ولقد ساعد علم الاجنة على معرفة التشابه ، والقاربة ، والصلة بين أصل المشترك للحيوانات فى التطور ومن بينها الانسان . ويقول داروين فى هذا المجال ما يلى : « وهكذا يبدو لى أن الحقائق الرئيسية فى علم الاجنة ، والتي لا يسبقها فى الاهمية شىء غيرها فى التاريخ الطبيعى ، أمكن تفسيرها على أساس القاعدة التى تقول : بأن التحورات البسيطة لا تظهر فى الاخلاف المتعددة لسلف قديم واحد فى مرحلة مبكرة جدا من حياة كل منها ولو أنها تنشأ أصلا فى أولى مراحل النمو ، وأنها تورث فى مرحلة مبكرة كذلك . وتزداد أهمية علم الاجنة كثيرا خصوصا ونحن نرى الآن فى الجنين صورة غامضة نوعا ما للأصل السلفى المشترك لكل طائفة كبرى من الحيوانات » (80) .

ملاحظة : ان هذه الادلة فى نظر بعض العلماء ، لا ترتقى الى البراهين الحاسمة ، ولكنها تعد قرائن فقط ، ولذا قد فندت من قبل المعارضين ، ونحن سوف نقدم هذه المناقشة فى الفصل القادم باذن الله .

(79) أرنست هايكل (1834 - 1919 م) من دعاة الداروينية فى ألمانيا أهم كتبه : تطور الانسان - وتاريخ الخلق .
(80) انظر : أصل الانواع لداروين ، ص 737 .

ج - الانسان فى المملكة الحيوانية :

ان الانسان فى نظر علماء البيولوجيا هو حيوان كبقية الحيوانات الاخرى . فنوعه ما هو الا واحد من تسعة نوع التى تعيش حاليا على كوكب الارض (81) .

يقول جان روستان (82) فيما يلى : « وللانسان شرف الانتماء الى الرئيسيات ، وان اقرب الحيوانات الى الانسان هى القرود العليا أو أشباه الانسان : الغوريلا ، والشمبانزى ، والاوران - أوتان (83) ، التى تشبهه فى المظهر العام ، فى القامة ، وانعدام الذنب وشكل الاسنان ، وكذلك فى مجموعة من التفاصيل التشريحية ، والنسجية والفيزيولوجية والكيمائية » (84) .

اذن هذه الصفات الاساسية التى ذكرها جان روستان ، هى التى جعلت المدرسة الداروينية تؤكد أن الانسان تربطه علاقات متماثلة مع القرود المذنبه والقرود غير المذنبه - وتصنف هذه القرود مع الانسان كمجموعة الرئيسيات فى المملكة الحيوانية .

(81) الانسان لجان روستان ترجمة محمد عبد الرحمن ، ص 16 .

(82) جان روستان عالم فرنسى ، باحث بيولوجى ولد سنة 1894 . مؤلفاته تربو عن 150 كتابا .

(83) الغوريلا : اكبر القرود غير المذنبه وموطنه افريقيا . الشمبانزى : اذكى القرود غير المذنبه كلها ويعيش فى غرب وأوسط افريقيا

الاوران - أوتان : اندر القرود غير المذنبه ويوجد فى غابات بورنو وسومطرة .

(84) الانسان لجان روستان ، ص 18 .

1 - هل صحيح أن الانسان العاقل قد نشأ وتطور من القروء العليا ؟

ان العلوم البيولوجية تؤكد أن هناك تشابها عاما بين الانسان والقردة العليا ، من حيث الجانب التشريحي والفزيولوجى والكىماوى ؛ ومن هنا نطرح السؤال التالى : هل صحيح أن الانسان قد انحدر من القردة ؟ أو هذه القردة العليا أصل تسلسل الانسان ؟ أى أن الانسان العاقل جاء سلفه من تطور الحلقات ، حلقة القردة العليا . غير أن هذا الامر لا يزال محل جدال ونقاش وأخذ عند العلماء .

ومهما يكن من أمر فإن أنصار المدرسة الداروينية ، يرون أن الانسان الاول لم يكن على صورة الانسان الحالى ، بل كان يشبه القردة العليا (85) .. وان جميع الكائنات الحية قد جاءت نتيجة التطور ، فخرج بعضها من بعض على طول الازمنة الجيولوجية . ومن بينها الانسان . وجاء فى مقدمة أصل الانواع ما يلى : « تفرع من الجلبانيات (86) شعب متفرقة من الاحياء ، أهمها من وجهة النظر البشرية ما يسمى علميا (الصعاير أو اللىامير) (87) فان من هذه الصعاير نشأت السعادين (ذوات الذبول) والقردة (فاقدة الذبول) (88) والبشرانيات .

(85) مقدمة أصل الانواع ، لاسماعيل مظهر ، ص 45 .

(86) الجلبانيات : ذوات الكيس كالكنغرو وغيره .

(87) حيوان صغير ينتمى الى الرئيسيات السفلى بان صفاتها تعد أكثر بدائية من القروء غير المذنبه وتعيش فى افريقيا .

(88) القروء ذوات الذبول أشهرها : لانجورو جريزا وبابول وماكاك .

القروء فاقدة الذبول أشهرها : الشبانزى والغوريلا والارطان .

أما من أية من الشعب العديدة التى تحولت عن الصنابير
قد تنشأ الانسان ، فأمر لا يزال محوطا بكثير من الشك عند
العلماء . ولكن الراجع أن سلفا من الاسلاف البشرية
- المشابهة للبشر - قد تطورت عنه شعب جاء منها الغولى
والشمبانزى والارطان ، ثم الانسان (89) .

2 - المدرسة الداروينية والحلقة المفقودة :

وهكذا تنسب المدرسة الداروينية ، الانسان الى رتبة
الرئيسيات التى تجمع بين الانسان والقروود المذنبه وغير
المذنبه .

اذن أن الانسان والقرد ينتميان الى فرع مشترك فى
شجرة الاحياء ، ومعنى هذا أن الانسان تربطه علاقة النشأة
والدم مع القردة العليا وأن الانسان الحالى .. الناطق ..
الصانع لم يكن كالانسان الاول الذى كان يقترب ويشبه
القروود العليا .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المجال ؛ أن داروين لم
يقبل : ان أصل الانسان قرد ، ولكنه يرى أن هناك حلقة
مفقودة فى نسب الانسان ، التى تجمع بين الانسان والقردة
وهو بالطبع قد أنكر صراحة فكرة الخلق المستقل ، القائلة :
بأن الانسان لم ينحدر من أصل مشترك مع أى حيوان آخر .
أما بالنسبة الى القرآن ، فان أصول المدرسة الداروينية
تناقض رأي القرآن الكريم الذى يؤكد أن الانسان خلق خلقا

(89) انظر مقدمة أصل الانواع لاسماعيل مظهر ، ص 44 .

مستقلا - وان الكائنات الحية لم تنحدر من أصل مشترك واحد ، في الازمنة الجيولوجية يقول الله عز وجل في ذلك : « إِنْ مَثَلْ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » (آل عمران : 59) .

د - مراحل تطور العائلة الانسانية :

1 - ظهور الانسان وعمره الزمانى :

أما بالنسبة الى المشكل الثانى الذى يطرح نفسه على النزعة التطورية - كيف ظهر الانسان العاقل ؟ وأين نشأ ؟ وللإجابة عن هذا المشكل المتعلق بالانسان الناطق ، فانه يمكننا القول : بأن الجواب يكمن فى دراسة مراحل تطور العائلة الانسانية ، من خلال علم السلالات البشرية .

وجدير بالذكر ، أن علماء السلالات البشرية يهتمون بدراسة وتتبع تطور العائلة الانسانية ، عبر تاريخها الطويل الموغل فى الماضى السحيق .

وعلم السلالات يهدف بالدرجة الى معرفة السلالات الانسانية عن طريق الحفريات لاستقراء وتتبع تطور تاريخ الانسان الطويل من الناحية التشريحية والفيزيولوجية فى ظهور الانسان العاقل الحالى .

أما بالنسبة الى العمر الزمانى لهذا الانسان العاقل المعاصر فيقدر عند بعض العلماء بـ 150 ألف سنة كحد أدنى والى مليون

سنة كحد أقصى (90) . وهذا التقدير الزمني يعود الى الآثار وبعض الحفريات التي تم العثور عليها في افريقيا وآسيا وأوروبا ولا سيما في جنوب فرنسا واسبانيا ، حيث تم اكتشاف عظام بدائية جدا ، وبعض الرسوم على جدران الكهوف ، هذه القرائن تثبت ظهور الانسان العاقل .

والحقيقة أن الانسان الناطق الصانع لم يصل الى درجة الرقى على حسب رأى علماء السلالات الا بعد مراحل متطورة جدا ، مرت عليه أسلاف الانسان ، التي انقرضت .

— ولعل الجدول التالي يقدم لنا لمحة عن تعريف وتطور أسلاف الانسان التي انقرضت :

2 - الجدول العام (91) ، لتطور أسلاف الانسان :

1 - بليويثيكاس : الاصل الذى تسلسل عنه قرود الجيبون

2 - بروكونسول : الاصل الذى تسلسلت عنه القرود العليا مثل الشمبانزى .

3 - دريويثيكاس : لا زال عليه جدل فى صلتة بالكائنات الشبيهة بالانسان .

(90) انظر : المقياس الجيولوجى فى المكتبة العلمية - البحر ليونارد انجيل ، ص 39 .

(91) انظر : الدوحة العدد 82 - أكتوبر 1982 ، ص 98- صاحب المقال عبد المحسن صالح .

() راجع ظهور الانسان فى كتاب المعرفة - الشعوب والسكان ص 1217

() انظر فى كتاب علم الانسان لمحمد على محمد ، ص 20/17 .

4 - راما بيثيكاس : بداية أصول أشباه الانسان وظهر منذ 5 مليون سنة .

5 - أوسترالو بيثيكاس : طور متقدم عن سابقه ، وكان يمشى منتصباً على قدمين .

6 - بارانتروباس : من أشباه الانسان وظهر حوالى 3 مليون عام .

7 - أوسترالو بيثيكاس الاحدث : جاء بمنخ أكبر وعرف استعمال الاحجار كأدوات .

8 - هومو اريكتس (أى الانسان المعتدل) أول بشائر عائلة الانسان .

9 - نوع مبكر وبدائى يتبع الجنس البشرى وبدأ ظهوره منذ 400 ألف عام وانقرض .

10 - انسان جاوة - يحمل صفات بشرية ومشكوك فى نسبه وانقرض .

11 - انسان روديسيا : أرقى من الانسان المعتدل ، لكنه

12 - نياندرتال : عاش متجولاً حول حوض البحر الابيض المتوسط وانقرض .

13 - انسان كرومانون : أقرب الى الانسان الحديث أو الحكيم ، فقد كان أول من عرف الرسم على جدران الكهوف .

١٤ - الانسان الحديث (هومو سايننس) جاء متوجا
للمشوار الطويل .

ه - علم الانثروبولوجيا وظهور الانسان الحديث (92) :

ومهما يكن من أمر ، فان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية قد بذلوا جهدا لتتبع تطور أسلاف الانسان الحديث منذ انفصاله عن الرئيسيات . ولقد ظهر هذا جليا من خلال الجدول الذى بين أن هناك أنواعا معينة أشباه الانسان .

وعلى أية حال ، فان علماء السلالات البشرية قد أعطوا مدلولاً معيناً لاسلاف الانسان الحديث مع تحديد المميزات الجوهرية التى تتصف بها هذه الاسلاف عن طريق الحفريات ودراسة العظام والجماجم التى تم اكتشافها فى هذا المجال (93)

١ - انسان نياندرتال :

فى سنة ١856 ، تم العثور على بعض الجماجم والعظام فى منطقة نياندرتال بالقرب من دسلدورف الالمانية وقد سمي هذا الانسان البدائى جدا بانسان نياندرتال (94) وهذه الجماجم والعظام تختلف كثيرا فى طبيعتها التشريحية والفزيولوجية عن الانسان العادى .

(92) الانثرو بولوجيا : هى العلم الذى يدرس كل ما يتعلق بالانسان فى

ماضيه وحاضره ، سواء الجانب الماضى أو الفكرى .

(93) راجع كتاب المعرفة - الشعوب والسكان ، ص 11 .

(94) الموجز فى التاريخ لـ هـ جـ . ولز ، ص 38 ، علم الانسان لمحمد على

محمد ، ص 21 .

2 - انسان جاوه وبكين :

أما فى سنة 1891 ، فقد اكتشف العالم الهولندى أوجين ديبيواه بقايا من جمجمة فى جاوه ويعود تاريخ هذه الجمجمة الى نصف مليون سنة ، وتعد مرحلة وسطى بين سعة جمجمة القرد الراقى (600 سم) وسعة جمجمة الانسان العاقل (1400 سم) كما وجدت فى مغاراته آثار النار التى تدل على أنه قد نجح فى استخدامها الى حد ما (95) .

أما فى سنة 1920 ، عثر العالم دافيد - سون بلاك بالقرب من مدينة بكين على جزء من جمجمة انسان يقدر عمرها بنحو 300 ألف سنة وهى قريبة الى جمجمة انسان جاوه (96) .

3 - الانسان الروديسى :

فى سنة 1921 ، اكتشفت جمجمة مع أجزاء من هيكل عظمى قرب - بروكنهل - فى افريقيا الجنوبية . ويعتقد علماء السلالات البشرية أنها حد وسط بين الانسان الفجر والانسان العاقل الحكيم ، فأسنانه وعظامه كانت انسانية خالصة ، أما وجهه فكان أقرب الى الصفة القردية - والعلماء الى حد الساعة لم يحددوا عمرها الحقيقى بالنسبة الى هذه الجمجمة .

(95) كتاب المعرفة - الشعوب والسكان - ص 11، علم الانسان لمحمد على محمد ، ص 18 .

(96) انظر علم الانسان لمحمد على محمد ، ص 19 .

موجز تاريخ العالم لـ هـ جـ ويلز ، ص 40 .

كتاب المعرفة - الشعوب والسكان ، ص 11 .

4 - الملامح العامة عن ظهور الانسان الحقيقي :

ان علم السلالات البشرية ، قد اكتشف فى فرنسا واسبانيا عظاما وخدوشا وبعض الرسوم المنحوتة على جدران الكهوف يعود تاريخها الى ثلاثين ألف سنة أو أكثر (97) .

ولكن هناك علامة بارزة تجعلهم يتميزون عن السلالات السابقة ، فذلك بتفكيرهم الذى يتجلى فى بعض الادوات البدائية التى صنعوها كالحراب وبعض التماثيل والرسوم الملونة التى عثرت فى كهوفهم (98) .

ولا شك أن هذه الثقافة البدائية قد تقترب الى ثقافتنا الحالية ، وتسمى ثقافتهم بالثقافة الكرومانية نسبة الى كهف كرومانيون (99) الذى وجدت فيه آثار هذا الشعب البدائي . أما الجانب الفزيولوجى فقد تم العثور على جمجمة امرأة التى تقترب على جمجمة الانسان الحالى ، وكذلك الامر بالنسبة الى هياكلهم الجسمية التى تشبه الى حد كبير طراز الهنود الحمر بأمريكا الشمالية (100) .

تلکم لمحة قصيرة جدا على أسلاف الانسان وتطوره عبر التاريخ القديم على حسب المدرسة الداروينية . ولاشك ان الانسان الحالى يختلف اختلافا جذريا عن السلالات البشرية المنقرضة ، لانه الكائن الوحيد الذى يستطيع أن يتكلم ويصنع

(97) موجز تاريخ العالم لـ هـ جـ ويلز ، ص 42 .

(98) كتاب المعرفة - الشعوب والسكان ، ص 15 - 17 .

(99) نسبة الى كرومانيون - شمال شرق فرنسا .

(100) انظر موجز تاريخ العالم لـ هـ جـ ويلز ، ص 42 .

ويغير المحيط الخارجى . هذه الصفات الجوهرية تجعله يتميز
كلياً عن عالم الحيوان ، ومسيطر على بقية الكائنات الأخرى
بفضل ذكائه . هذه الحقيقة سنعالجها فى الفصل الرابع ، مع
رأى الإسلام فى أصل الإنسان وخصائصه ، معتمدين على
الأدلة العقلية والنقلية للرد على التيارات الداروينية .

الفصل الرابع

الإنسان فى القرآن الكريم والرد على المدرسة الداروينية



الفصل الرابع

الانسان في القرآن الكريم، والرد على المدرسة الداروينية

أخبرتنا التي تقدم فيها الحيوانات الميمية . وهناك طائفة أخرى أكثر استعلاء لتأمل . تستل في أمثلك وتساؤلاته المتعللة بضمه خلقه وتكوينه وتصير . في الدنيا وبعد الموت . ومن غير شك أن هذه الأسئلة المتقدمة . التي أثيرت في الفكر الفلسفي كمنهية وحديثا كانت أجوبتها نسبية ومتناقضة في بعض الأحيان .

ألا أن الفلسفة الإسلامية . قد عالجت هذه المشكلات من خلال القرآن الكريم الذي أعطى الجواب المناسب في قصة خلقه وتكوينه وتصيره في الدنيا وبعد الموت . ثم بين طبيعته الحيوانية والروحية . وخصائصه الذاتية والاجتماعية . والفكرية من الخلق .

مما لا شك فيه ، أن الحد الفاصل بين عالم الانسانية وعالم الحيوانية يعود بالدرجة الاولى الى اللغة التى تحمل دلالات فكرية ، التى تشمل النشاط الكلى الذى يقوم به الانسان سواء فى المجال المادى أو الذهنى .

فالانسان هو الحيوان الوحيد الذى يملك هذه الخاصية الجوهرية التى تفتقر اليها الحيوانات العجماء ، وهناك ظاهرة أخرى أكثر استدعاء للتأمل ، تتمثل فى أسئلته وتساؤلاته المتعلقة بقصة خلقه وتكوينه ومصيره فى الدنيا وبعد الموت . ومن غير شك أن هذه الاسئلة المعقدة ، التى أثارت فى الفكر الفلسفى قديما وحديثا كانت أجوبتها سببية ومتناقضة فى بعض الاحيان .

الا أن الفلسفة الاسلامية ، قد عالجت هذه المشكلات من خلال القرآن الكريم الذى أعطى الجواب الحاسم فى قصة خلقه وتكوينه ومصيره فى الدنيا وبعد الموت ، ثم بين طبيعته الحيوانية والروحانية ، وخصائصه الذاتية والاجتماعية ، والفكرية ... الخ .

أ - قصة الخلق والتكوين في القرآن الكريم :

1 - كرامة الانسان :

ان مكانة الانسان في القرآن الكريم هي أعظم وأعلى مكانة له بين جميع المخلوقات الموجودة . وان الانسان مكرم عند الله ، وقد فضله تفضيلا على سائر المخلوقات . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الرفعة الشريفة في قوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (الاسراء : 70) .

ان هذه الآية الكريمة ، أكدت وأقرت أن للانسان فضلا ورفعة على بقية الكائنات الاخرى ، ومكانة لا تقارن بالكائنات الاخرى التي خلقت في هذا الوجود . ثم هناك علامة بارزة في قصة خلق الانسان الاول آدم عليه السلام ، حين أمر الملائكة بالسجود لآدم ، فهذا تكريم صريح من الرحمن للانسان ، لأنه من روح الله عز وجل . يقول الله عز وجل في هذه القصة : « إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » (ص : 71 72 73 74) .

2 - قصة خلق الإنسان وتكوينه :

أما بالنسبة الى قصة خلق الانسان وتكوينه فهناك عدة آيات قرآنية ذكرت وبينت طبيعة خلق الانسان ومادته الجوهرية الاولى التي هي التراب . وأنه خلق خلقا مستقلا .

وليس من اليسير حصر الآيات الكريمة التي أشارت الى هذه الحقيقة - فهناك آيات تحدثت أنه خلق من طين ، وأخرى من طين لازب ، وأخرى من حماء مسنون ، وذكرت أخرى أنه من صلصال كالفخار . . غير أن علة الخلق واحدة ما دامت تعود الى أصل واحد فهو التراب . يقول الله عز وجل في شأن قصة الخلق ما يلي : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ » (الروم : 20) .

« وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا »
(فاطر : II) .

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » (آل عمران : 59) .

« إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ » (الصافات : II) .

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » (المؤمنون : I2)

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ »
(الحجر : 26) .

« خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ » (الرحمن : I4) .

على أنه يجب أن نذكر هنا مرة أخرى ، أنه قد يتبادر الى الذهن أن القرآن الكريم فيه لبس وتناقض في هذه الآيات - غير أن الانسان الحكيم ، يدرك ويستدل على أن علة الخلق

واحدة وصادرة عن أصل ومصدر واحد فهو عنصر التراب
كما رأينا سابقا (101) .

وهكذا يمكن لنا فى هذه الحال أن نحدد الدلالات النفوية
التالية لتكون الفكرة أوضح فى ذهن القارئ الكريم .

1 - الطين التراب المختلط بالماء .

2 - الحمأ : الطين الاسود المنتن ، الطين الاسود .

3 - الصلصال : الطين اليابس - والصلصال : الطين الحر
خلط بالرمل فصار يتصلصل اذا جف ، فاذا طبخ بالنار صار
فخارا (102) .

3 - الانسان خلق خلقا مستقلا وفى أحسن صورة :

وبعد هذا ننتقل الى الشق الثانى من المشكلة التى أثرت
فى المدرسة الداروينية ، التى ترى أن الانسان قد تدرج فى
الارتقاء من الأدنى الى الأعلى فى شجرة الأحياء (103) .

غير أن القرآن الكريم قد أوضح أن الانسان خلق خلقا
مستقلا وفى أحسن صورة ، ولعل من الافضل أن نذكر أن
هناك عدة آيات قرآنية تقرر أن الانسان لم يمر على مراحل

(101) لقد أكد العلم على أن جسم الانسان يتكون من عناصر التربة التى
تبرزها العلوم الكيمائية مع العلم أن جسم الانسان يتكون من المواد التالية:
حديد + فسفور + الكالسيوم + نتروجين + أوكسجين + ايدروجين
+ كربون .

(102) راجع مختار الصحاح لابن عبد القادر الرازى .

(103) انظر : أصل الأنواع لداروين ، ص 41 .

التطور وطريق عملية الانتخاب الطبيعي على حسب المذهب
الدارويني ، ولم يتدرج من فصيلة الى رتبة - وليست له أية
قراءة في النسب مع الرئيسيات كالشمبانزى والفوزيلا
... الخ .

ولنستمع في ذلك الى بعض الآيات القرآنية لتكون الرؤية
واضحة . يقول الله عز وجل : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ
الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا . إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » (الانسان : 1 - 2) .

وقوله تعالى : « إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » (آل عمران : 59) .

وقوله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » (التين : 4 - 5 - 6) .

وقوله تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ
السَّاجِدِينَ » (الاعراف : 11) .

وهذه الآيات الكريمة ، وغيرها تدل على أن قصة خلق
الانسان ، قد خلق مستقلا وفي أحسن صورة . ولم يكن
الانسان الحالي خلق بأى حال من الاحوال قبل ذلك ، ولم
يتطور فى سلم التطور شيئا فشيئا كما تقول المدرسة
الداروينية .

ب - وجه الاختلاف والتباين بين القرآن الكريم ونظرية التطور في قصة خلق الانسان .

1 - القرآن الكريم والعلوم البيولوجية :

ان القرآن الكريم قد أشار الى التطور البيولوجي الذي يمر به الانسان ؛ وهذه الحقيقة العلمية قد ذكرت في الآية التالية التي تبين تطور الجنين ومراحله التي يقطعها في الرحم ابتداء من الحيوان المنوى الى أن يصيرا طفلا كاملا . يقول الله عز وجل : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (المؤمنون : 12 ، 13 ، 14) .

ويقول الله في آية أخرى : « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ » (الروم : 54) .

وهكذا نلاحظ القرآن الكريم يحدثنا بظاهرة التطور البيولوجي الثابت للنوع البشرى . فنكون في بطون أمهاتنا نطفة (104) ثم علقه (105) ثم مضغه (106) ثم عظاما ، ويشير الله في الآية الاخرى الى المراحل التطورية الحتمية التي يجتازها الانسان . ان ظاهرة التغير الفزيولوجي التي تمر

(104) النطفة = المنى .

(105) العلقه = الدم الغليظ .

(106) المضغه = قطعة لحم .

ينزل بكبار الافراد وصفارها فى غضون كل جيل ، أو خلال فترات الزمان المتتالية (107) .

2 - نظرة الداروينية الى أصل الانسان :

ان المدرسة الداروينية ترى أن الانسان لم يخلق مستقلا كما تؤكد وجهة القرآن الكريم الى أصل الانسان . وان عمره الحقيقى فى نظر الداروينية ، لا يعود الى حياة الانسان الاول آدم عليه السلام - ولكنه يعود بالدرجة الاولى الى ظهور الخلية الاولى فى علم الاحياء التى تسمى (الجيلة أو البروتوبلازم) التى تعود اليها صور الحياة . وان تطوره يعود الى هذه الخلية التى مرت بمراحل انتقالية عبر ملايين السنين حتى أوجدت هذا الانسان العاقل الذى له علاقة عضوية مع القردة العليا التى تعد من أسلافه .

ويقول اسماعيل مظهر فى مقدمة أصل الانواع ما يلى :
« ولكن الراجع أن سلفا من الاسلاف البشرية - المشابهة للبشر - قد تطورت عنه شعب جاء منها الغوريلا والشمبانزى والارطان (108) ، ثم الانسان . ومما يذهب اليه بعض الاحيائيين أن السفلى (109) قد يكون الاصل الذى منه نشأ الانسان (110) . »

-
- (107) أصل الانواع لداروين ، ص 198 .
(108) تصنف هذه القروء الغير المذنبه مع الانسان كمجموعة الرئيسيات .
(109) السفلى : حيوان صغير من الرئيسيات السفلى .
(110) انظر : مقدمة أصل الانواع ، ص 44 .

أما بالنسبة الى مناقشة أسس هذه النظرية فسوف نقوم
بنقضها في الصفحات القادمة معتمدين على النقد المنهجي .

3 - هل القرآن يشير الى أن هناك بشرا قبل آدم عليه السلام ؟

في قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ » (البقرة : 30) .

4 - نظرة مدرسة محمد عبده الى البشر الذين سكنوا الارض
قبل آدم :

من خلال هذه الآية ، يقول رشيد رضا (III) رحمه الله
في تفسير المنار ما يلي : « ثم ان للمفسرين في الخليفة
مذهبين : ذهب بعضهم الى أن هذا اللفظ يشعر بأنه كان في
الارض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق ، وانه انقرض
وأن هذا الصنف الذى أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة
في الارض سيجعل محله ويخلفه كما قال تعالى بعد ذكر اهلاك
القرون : « ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (يونس : 14) . وقالوا ان ذلك الصنف البائد
قد أفسد في الارض سفك الدماء ، وان الملائكة استنبطوا
سؤالهم بالقياس عليه . لان الخليفة لابد أن يناسب من يخلفه

(111) محمد رشيد رضا ، ولد في طرابلس الشام سنة 1282 هـ ، وتوفي
في سنة 1353 هـ ، أهم آثاره تفسير المنار . وكان رحمه الله سالكا طريق
استاذ محمد عبده .

ويكون من قبله كما يبادر الى الفهم . ولكن لما لم يكن دليل على أنه يكون مثله من كل وجه وليس ذلك من مقتضى الخلافة أجاب الله الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله .

قال الاستاذ (II2) وإذا صح هذا القول فليس آدم أول الصنف العاقل من الحيوان على هذه الارض ، وانما كان أول طائفة جديدة من الحيوان الناطق تماثل الطائفة أو الطوائف البائدة منه في الذات والمادة وتخالفها في بعض الاخلاق والسجايا « (II3) .

5 - ملاحظة لا بد منها : ولو افترضنا أن نظرية داروين ثابتة بالادلة القاطعة في تفسير ظهور الانسان الحالى ، هنا يطلب منا أن نؤول الآية الثلاثين من سورة البقرة لتوافق من يقول ان هناك بشرا قد سكنوا الارض قبل آدم (II4) .

ولكن لا بد أن نشير الى النظرية الحديثة التى تنفى كل قرابة بين الانسان الحالى وأسلاف الانسان القديم (II5) . وترجع أصل الانسان الحالى الى الفصيلة البشرية التى ظهرت فى بدء الزمن الجيولوجى الرابع بشكل فجائى .

(112) اشارة الى الامام الكبير محمد عبده 1849 - 1905 م . زعيم الحركة الاسلامية المعاصرة ، أهم آثاره : رسالة التوحيد - الاسلام والنصرانية - الاسلام دين العلم والمدنية .

(113) أنظر : تفسير المنار ، ج 1 ، ص 258 .

(114) راجع : المدخل العام للبحث فى هذا الكتاب .

(115) راجع الجدول العام لتطور أسلاف الانسان .

ج - نقد التفسير الدارويني لاصل الانسان :

حين وضعت النظرية الداروينية المفسرة لاصل الانسان وتطوره تحت النقد العلمى ، والابحاث الجديدة التى قدمت فى المؤتمرات العالمية خلال هذه السنوات الجديدة ؛ تبين لعلماء البيولوجيا ، والسلالات البشرية ، والحفريات أن هذه النظرية لا تقف على أرض صلبة ، بل فيها ثغرات وفجوات واضحة فلا يمكن اجتيازها بأى حال من الاحوال (116) .

ونحن بدورنا سوف نورد بعض آراء العلماء فى ذلك ونبين أهم الثغرات الموجودة فى أصول المدرسة الداروينية ، ونبينها على النحو التالى :

1 - الفرق بين النظرية والقانون العلمى :

ويحسن بنا قبل البدء فى المناقشة أن نميز بين النظرية والقانون العلمى .

نقول : ان نظرية داروين ما هى فى الواقع العلمى الا فرض . والفرض كما هو معلوم مقدمة لبرهان ، أو هو فكرة مؤقتة يقيمها العالم لتفسير مؤقت ، ليعمل الحوادث والوقائع التى لاحظها . فان أيدته الملاحظة أو التجارب يتحول هذا الفرض الى القانون .

أما اذا كذبت التجارب أو الملاحظات الدقيقة ، فالباحث هنا ، يستبدل غيره ، حتى يصل الى فرض صحيح لتفسير

(116) راجع : نقد ومناقشة نظرية داروين فى التطور فى الفصل الثانى .

الوقائع تفسيراً علمياً . ومن هنا نستنتج أن هناك اختلافاً جوهرياً بين النظرية والحقيقة العلمية التي يمثلها ويفسرها القانون العلمي الذي يبين ويربط العلاقة الثابتة بين حادثين أو أكثر . فهذا القانون يعتمد على مبدأ الحتمية الذي ينص إذا توفرت الشروط الضرورية فلا بد أن تحدث النتيجة حتماً

فهكذا نلاحظ أن القانون يكون غير قابل للتبديل والتغير ولا مجال للشك فيه ، بينما النظرية لا تزال محل جدال ونقاش بين العلماء . ويحسن بنا أن نذكر هنا الروح النسبية التي يجب أن يتقيد بها العالم دوماً ، والتي تحذر التفسيرات المطلقة ، لأن المعارف العلمية في تطور وتغير دائماً .

اذن أن العقل البشري لا يستطيع أن يدرك كل الحقائق حتى إذا أدرك بعض جوانبها فلن يتمكن من الإحاطة الشاملة حولها . ولا أدل على ذلك الهندسة الاقليدية التي أعطت مفاهيم جديدة لطبيعة وشكل الكون .

2 - الهندسة الاقليدية ، دليل آخر على اعطاء مفاهيم جديدة للحقيقة (117) :

ومن غير شك ، أن هندسة اقليدس تعد قبل العصر الحالي هندسة يقينية واضحة في مفاهيمها . ولا نشك في سلامة أسسها إطلاقاً ؛ وظلت هذه الهندسة سائدة خلال ثلاثة

(117) اقليدس : عالم رياضى يونانى عاش قبل الميلاد بثلاثة قرون - أهم آثاره : معطيات الهندسة .

وعشرين قرنا . ولقد حاول العلماء قبل لوبا تشفسكى (118) ورايمان (119) البرهنة على صحة مصادرة اقليدس في المتوازيات معتمدين على البديهيات ، ولكن تبين للوباتشفسكى ورايمان أنها مجرد فرض . وانها صحيحة في الواقع الحسى الذى يعتمد على الابعاد الثلاثة ، فهى الطول والعرض والعسق وأن المكان مسطح كما تدركه حواسنا ، وان مجموع زوايا المثلث تساوى 180 . وأن المكان مسطح .

أما بالنسبة الى لوبا تشفسكى فقد صور المكان على شكل سرج حصان فأعطى مفاهيم جديدة للرياضيات ، معتمدا في ذلك على التجريد العقلى الخالص ، وافترض عدة مصادرات جديدة من بينها من نقطة خارج عن مستقيم يمكن رسم عدد غير محدود من الخطوط الموازية له . وأن مجموع زوايا المثلث تساوى 135 وأن المكان لا أبعاد له . وان هذه الهندسة صالحة في مجال الهندسة الالكترونية . أما بالنسبة الى رايمان فقد صور شكل المكان كرويا فرفض كذلك مصادرة اقليدس في التوازي واستبدلها بالمصادرة الاخرى القائلة من نقطة خارج مستقيم لا يمكن رسم أى خط مواز أصلا - وأن مجموع زوايا المثلث تساوى 270 . وأن الخط لا يمتد الى ما لا نهاية . وهذه الهندسة صالحة في مجال الفضاء .

(118) لوبا تشفسكى (1792 - 1856 م) عالم روسى وتعد مفاهيمه الرياضية ثورة في المجال الهندسى ، أهم آثاره : مبادئ الهندسة - والمبادئ الجديدة .

(119) رايمان (1839 - 1919 م) عالم رياضى ألماني يعد من الذين ساهموا في الهندسة الفضائية .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الهندسات لا تناقض بينها ،
وانما لكل منها مجالها الخاص (120) . ونقول ان النظريات
العلمية لم يقم عليها الدليل القاطع الثابت على صحتها ويمكن
اضافة اليها عناصر جديدة أو حذف بعض مفاهيمها . كما
هو الشأن بالنسبة الى هندسة الاقليدية .

وهكذا تبقى معرفة الانسان نسبية بينه وبين الموضوع
الذى يسعى لادراكه .

وخلاصة الفكرة : أن علم الانسان لا يستطيع أن يدرك
كل الحقائق المطلقة ولا يحيط بكل عناصرها الفعالة احاطة
كافية وتامة . لان العلوم الحديثة فى تطور مستمر وظواهر
الوجود لا يمكن حصرها ، سواء كان ذلك الامر يتعلق بالعلوم
المادية أو العلوم البيولوجية ، أو العلوم الانسانية ... الخ .

وهذه الحقيقة قد أشار إليها الله عز وجل فى قوله تعالى :
« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الاسراء : 85) . وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا »
(طه : 114) .

بعد هذه الفكرة التى بينا فيها الفرق الجوهرى بين النظرية
والحقيقة العلمية . فانه يجدر بنا أن نذكر النظرية الجيولوجية
المعاصرة ونظرية علماء الحفريات والسلالات البشرية ،
فهؤلاء قد فندوا مرة أخرى نظرية داروين التى تفسر أصل
الكائنات الحية وتطورها ، لا سيما أصل الانسان .

(120) انظر الفيلسوف والعلم لجون كيميني ، ترجمة أمين شريف ، ص 52

3 - النظرية الجيولوجية المعاصرة تقلب المفاهيم الداروينية ، وتنقضها :

ان النظرية الجيولوجية المعاصرة قد أثبتت أن الديناصورات وحيوانات أخرى كثيرة انقرضت من عالمنا الارضى منذ 63 مليون سنة نتيجة لدخول عوامل طبيعية خارجية ، تمثلت فى النيازك (I21) والشهب (I22) التى ألقت حممها الجهنمية على أديم الارض ، وغمرت من بعض طبيعة هذا الكوكب الارضى .

انطلاقاً من هذه الحقيقة يقول صاحب المقالة عدنان عزيمة ما يلى : « الظاهرة التى أثارت حيرة الجيولوجيين هى وجود معدن الايريديوم (I23) بنسبة كبيرة فى طبقة الطين ، لانه من المعروف أن هذا المعدن نادراً ما يتواجد فى صخور القشرة الارضية ، ولكنه معدن سائد فى النيازك والشهب التى تنفصل عن النجوم أثناء ثوراتها . وبينت التحاليل التى قام بها الجيولوجيون أن نسبة الايريديوم فى هذه الطبقة أكبر بثلاثين مرة من نسبة وجوده فى طبقات الطين المماثلة

(121) النيازك : شهاب غير تام الاحتراق ويتكون من عدة عناصر معدنية ، فاذا سقط على الارض ، أحدث خراباً وفجوات كبيرة على حسب وزنه . ومن أكبر النيزكات التى تم العثور عليها . نيزكات جنوب أفريقيا الذى يزن حوالى 60 طن أما نيزك سبيريا فقد وصل وزنه الى مائة ن طن .

(122) الشهاب : ج . شهب : قطعة صلبة من المادة الكونية فاذا دخلت الغلاف الجوى للارض لمعت بسبب احتكاكها بالغازات الاخرى . فاذا وصلت الى الارض سميت نيازك .

(123) الايريديوم : عنصر فلزى نادر يشبه البلاتين ، صلب جداً . تصنع منه الموازين القياسية التى تقاوم التقلبات الجوية والحرارة .

والموجودة فى مناطق متباعدة من سطح الارض . وتساءل العلماء : هل يعنى ذلك أن الارض تعرضت لهجوم واسع النطاق قامت به النيازك والشهب نتيجة لانفجارات نجمية غير عادية حدثت فى ذلك العصر ؟ فى سبيل الاجابة عن السؤال ركز الجيولوجيون جهودهم على دراسة طبقة (غوييو) (I24) ، وتأكدوا من أن نسبة وجود الايريديوم فيها تماثل نسبة وجوده فى النيازك والشهب « (I25) .

بعد هذه الحقائق الجيولوجية الجديدة ، تبين للعلماء أن 75٪ من الحيوانات والنباتات قد أزيلت واندثرت بفعل العامل الخارجى الجهنمى الذى شنته النيازك والشهب (I26) . أما بالنسبة الى المذنبات فىرى علماء الجيولوجيا أن سقوط أى مذنب فى المحيط فامكانه أن يجعل مدا يدفع الماء على سطح البحار حوالى ثمانية كيلومترات ، وبالتالى سوف يقضى على الكائنات الحية ، ومظاهر الحياة .

انطلاقا من هذه الحقيقة العلمية الجديدة ، فلنا الحق أن نقول : هل خطر فى نظر أنصار داروين أن هذا العامل هو الحاسم فى انقراض الديناصورات ، وبعض الكائنات الحية التى كثيرا ما قيل عنها بأنها خاضعة لقانون الانتخاب الطبيعى وان الاحياء كلها نشأت عن طريق التطور والتسلسل من أصل

(I24) منطقة جبلية بايطاليا .

(I25) انظر : العربى - ص 22 ، العدد 286 - سبتمبر 1982 .

(I26) المذنبات : نوع من الاجرام السماوية وطولها يمتد أحيانا الى 100 مليون ميل .

واحد ؛ وان النوع البشرى قد انحدر من النوع الحيوانى وهو لم يخلق مستقلا من أول مرة . اما بالنسبة للصفات القوية التى يكتسبها الكائن الحى ، بواسطة الانتخاب الطبيعى والوراثة ، فسوف يترك الخلف الذى سيرث صفات أسلافه ، وبالتالى سيتفوق هذا النوع على غيره . ومن غير شك أن هذه الحقيقة العلمية الجديدة فى نظرنا ، تعد من أقوى الضربات التى سوف تهش أسس المذهب الداروينى . ولعل الدراسات الجيولوجية الحالية التى لها اتصال بعلم الاحياء سوف تغير المفاهيم الداروينية اذا وجدت أدلة أخرى لتعزز النظرية الجيولوجية الجديدة .

4 - الجينات الوراثية عقبة ازاء نظرية داروين :

هناك عقبة أخرى أمام نظرية داروين فى تفسير أصل الانسان وعلاقته بالرئيسيات - الشمبانزى ، والغوريلا - من حيث العلاقة الوراثية .

ان علم الوراثة يعتمد على الجينات التى تعد الوحدة الجوهرية لانتقال صفات الوراثة سواء فى عالم النبات أو الحيوان (127) . والصبغيات بدورها مؤلفة من الجينات وتعتبر الجينات من أدق الاجسام التى لا يمكن أن ترى بأى حال الا بالميكروسكوبات الالكترونية .

ويختلف عدد الصبغيات وأشكالها الذاتية اختلافا كبيرا باختلاف الانواع وهذا الاختلاف تكمن فيه الحكمة الالهية

(127) انظر : الوراثة لمجديث راندال ، ص : 55 - 57 .

القائلة : « قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى »
(طه : 50) .

اذ أن المورثات النوعية لا تنجب الا نوعها ، ان الجينات الانسانية لا تنجب الا الانسان . كما أن جينات الجمال لا تنجب فى جوهرها الا جمالا . فهكذا يؤكد علم الوراثة أن لكل نوع حيوانى له جيناته الخاصة به ، ومن المحال أن يخرج نوع من نوع آخر مهما كانت الظروف الطبيعية والتجريبية .

من هذه الحقيقة العلمية يتبين لنا أن الفروق شاسعة جدا بين الانسان والقردة العليا ، فالنوع الانسانى قد استقل استقلالا تاما بخصائصه النوعية ، ولا أدل على ذلك التجارب التى قام بها بعض العلماء باجراء عملية التلاقح بين الانسان والقردة العليا ، وكانت النتيجة عقيمة . يقول جون رويستون ما يلى : « ان انعزال الانسان النسبى عن بقية الرئيسات يسبب له بالطبع استحالة التزاوج فيما بينه وبين أى واحد منها . فقد جرب الانغال (128) بين الانسان والحيوان الراقى مرات عديدة ، وفى اتجاه الانسان والقرود المسمى غينون (129) ، ولكن هذا الانغال لم يسفر عن أى نتيجة . وليس فى هذا مدعاة الى الدهشة . وذلك لان الفارق بين الصنفين يتجاوز كثيرا الحد الذى يكون ملائما فى العادة لنجاح التزاوج » (130)

(128) الانغال : هو وقوع اللقاح بين نباتين أو حيوانين مختلفين ، المترجم

(129) غينون : نوع من القردة الافريقية .

(130) أنظر : الانسان جان رويستون ، ص 32 .

انطلاقاً من هذه الحقيقة العلمية ، فإن المدرسة الداروينية تقف عاجزة عن تفسير علاقة الاتصال بين عالم الانسان الحكيم وعالم القردة العليا . لانه يستحيل أن يخرج نوع من نوع آخر بسبب التباين بين الجينات الوراثية . كما تؤكد العلوم الوراثية .

5 - المؤتمر العالمي لعلماء الآثار والبيولوجيا والسلالات البشرية لسنة 1982 ، يفند الحلقة المفقودة لأصل الانسان

انعقد بمدينة نيس الفرنسية ، مؤتمر عالمي في سنة 1982 شارك فيه حوالي ألف باحث من ستين بلدا . ودام هذا الاجتماع ستة أيام ، وقد شارك فيه علماء الآثار والبيولوجيا والسلالات البشرية والمتاحف . وقد تمحور هذا المؤتمر في البحث عن الحلقة المفقودة لأصل الانسان . وقد شك الاستاذ - تيم ويت - عالم الانسان بجامعة بركلي الامريكية في الحلقة المفقودة لأصل الانسان . وقد صرح لوكالة الانباء الفرنسية بقوله : « ان التقنيات المستعملة من قبل بعض البيولوجيين ما هي الا في بدايتها ويشك البعض في صحتها ويمكننا القول : بأن القضية لا زالت مطروحة ، ولنا أسباب نظرية عديدة للاعتقاد بأن الحلقة الناقصة هي أقدم مما يقوله لنا البيولوجيون » . أما الاستاذ - ديسموند كلارك - من نفس هذه الجامعة فهو يوافق رأى الاستاذ - تيم ويت .

اما بالنسبة الى الانسان الاسترالي المؤنث الذي تم العثور عليه خلال سنة 1974 ، من طرف الفرقة الامريكية الفرنسية المشتركة في اثيوبيا ، فيقول في شأنه : « ان لوسى التي

كانت تعيش قبل ثلاثة ملايين سنة كانت ذات قدمين وهى مميزة لفصيلة البشر الا رأسها كان يشبه كثيرا رأس الشمبانزى الحالى ولم تكن بدون شك بعيدة كثيرا عن الحلقة المفقودة الهامة « (I31) .

وهنا يطرح سؤال : لو تم العثور على الحلقة المفقودة فى منطقة أوأش الحبشية التى تم العثور على لوسى وتم الاجماع عليها. فهل هذا يكفى لتعليل الحلقة المفقودة لأصل الانسان ؟ الا أن العلماء يرون أن الامر يتطلب زمنا قدره مليونى سنة بالنسبة لاجداد لوسى لتعلم المشى وهى فترة قصيرة فى رأى العلماء ، لان الامر يتطلب تغيرا هاما وجوهريا فى البنية الفزيولوجية . وهذا التغير مرتبط بعقبة أخرى التى تفترض تحويلا جذريا فى الظروف المناخية ، ولكن الامر فى حاجة الى براهين أخرى لتكون النظرية مقبولة من كافة العلماء (I32)

6 - القرد ليس جد الانسان :

لقد تم العثور على قرد - راما فيتاك - وهو قرد يبلغ عمره عشرة ملايين سنة (I33) واعتقد أن هناك علاقة ذموية وقاربة جدا بين الانسان وهذا القرد ، ولا سيما اذا علمنا أنه اكتشف هذا الحيوان فى الهند والباكستان واليونان والصين وافريقيا ، ولم يكن فى منطقة واحدة ، مما زاد لانظار المدرسة الداروينية دعامة أخرى عن هذا الاستقراء

(131) الشعب - عدد 5914 - الثلاثاء 2 نوفمبر 1982 .

(132) نفس المصدر السابق .

(133) أى تاريخه يعود ويقدر الى الآن بهذه النسبة التى ذكرت .

العام ، معتمدين فى ذلك على العظام المكونة من مواد معدنية يصعب تأثيرها وبالتالي فانها تقاوم عوامل التحلل .

ولقد اعتقد هؤلاء أنهم قد توصلوا من خلال هذا القرد الى ايجاد الحلقة المفقودة لاصل الانسان . ولكن الدراسات التى قدمها وعرضها أحد العلماء البيولوجيين المختص فى حقل الطب النووى بين أن البروتين الموجود فى عظام هذا القرد يختلف فى طبيعته الكيماوية عن التركيب الكيماوى لعظام الانسان ولا يمكن أن يكون بأى حال من الاحوال جد الانسان (134) . مع العلم أن الدليل من التشابه فى التركيب الكيماوى يعد من الادلة التى تعتمد عليها المدرسة الداروينية .

ومن هنا نقول : ان الدراسات الموضوعية التى قدمت من طرف هذا المؤتمر العالمى قد دحضت الفكرة القائلة : بأن أسلاف الانسان العاقل ترتد الى القردة العليا . ولعل هذا الاجماع العلمى قد فند أسس المدرسة الداروينية مرة أخرى .

7 - المدرسة الماركسية تستنسر بالداروينية :

اذن أن الثغرات والفجوات الموجودة فى الفكر الداروينى تكون علامة بارزة وقوية فى عدم سلامة أسس الفكر المادى الذى يتخذ هذه النظرية دعامة وذريعة علمية للتغلب عن فكرة الالهية بدعوى أن هذه الفكرة قد نشأت عن الحياة الاجتماعية ووعياها . فالماركسية ترى أن الوعى الفردى ، بصرف النظر عن سماته الفردية الخاصة ، هو فى جوهره

(134) انظر : جريدة الشعب - العدد 5905 - السبت 23 أكتوبر 1982 .

وعى اجتماعى ، لان كل فرد هو نتاج الشروط الاجتماعية
لحياة عصره (I35) .

أما بالنسبة للدين فان الفلسفة الماركسية ترى أن الدين
يلعب دورا كبيرا فى تقييد المجتمع بأخلاق الطبقة السائدة
المستغلة ويدعمها باسم الاله والكنيسة . وهكذا ، فان الدين
والاخلاق يخدمان مصالح الطبقات المستغلة فان كلا منهما
بحاجة الى الآخر ويسانده (I36) .

على أن الباحث حين يدرس ويدرك حقيقة أصول الفكر
الماركسى يجد ان هذه المدرسة قد قطعت شوطا آخر واعتبرت
أن الدين انعكاس واحتجاج لشقاء الانسان وضعفه أمام قوانين
الطبيعة ، وعلى الانسان أن يرفض السلطة الالهية ، وأن
يعي ذاته وعيا ايجابيا لتأكيد شخصيته المستقلة . ولقد
لخص ماركس فكرته فيما يلى : « ان الفلسفة تتبنى شعار
بروميثيوس (I37) : أنا ضد كل الالهة ، تعمم هذا الشعار
على كل أرباب السماء والارض ، الذين ينكرون على الوعى
البشرى أن يكون الاله الاعلى . فهى تأبى أن يكون لها
منافس » (I38) .

(I35) أنظر : المادية التاريخية لـ : ف . كيلى وم . كوفالزون ، ص 400
(I36) المصدر السابق 454 - ثم راجع كتابنا : الاسلام ومدرسة فرويد
ص : 71 - 94 للرد على هذه الفكرة .

(I37) بروميشيوس : فى أساطير اليونان : العملاق الذى حمل النار الى
البشر ، فعاقبه الاله زيوس بتقييده الى جبل ، وظل حبس قيوده حتى
حرره منها هيراكليس - (م : الموسوعة العربية) .

(I38) أنظر : ماركسية القرن العشرين روجيه غارودى ، ص 145 .

8 - اللغة الوضعية هي الحد الحاسم بين عالم الانسان وعالم الحيوان :

رأينا فيما سبق كيف حلت المدرسة الداروينية أسلاف الانسان ، وكيف عالج المؤتمر العالمى لعلماء البيولوجيا والآثار والسلالات والمتاحف بحث الحلقة المفقودة لاصل الانسان . وخرج المؤتمر بنتيجة أثبتوا أن نظرية داروين فى تفسير ظهور الانسان العاقل الصانع وتطوره ، لا تزال فرضية بالمعنى الاصطلاحي العلمى . رغم بعض الادلة التى عرضت فى هذا الاجتماع العلمى . الا أن المدرسة الماركسية أرادت أن تستنسر بهذه النظرية ، رغم ما فيها من ثغرات معروفة سابقا ولا يمكن قفزها .

ولكن المدرسة الشيوعية تجاهلت هذه الحقيقة العلمية لخدمة الفكر الماركسى بأى ثمن .

بعد هذا الحديث عن مفهوم التطور وعلاقته بعالم الانسان وما قيل فيه فانه يجدر بنا أن نبين فلسفة اللغة (139) عند الانسان بايجاز .

(139) اللغة فى الاصطلاح الفلسفى ، يقصد بها الفكر لا فكر بدون لغة ولا لغة بدون فكر .

وتنقسم اللغة الى ثلاثة أقسام :

- 1 - اللغة الطبيعية تشمل جميع الحركات والانفعالات الطبيعية كالصراخ والالام والضحك فنحن نشترك مع الحيوان فى هذا الجانب .
- 2 - اللغة الوضعية تتميز بالجانب الارادى فتشمل الرموز والاشارات المتفق عليها . كالرياضيات ، النحو .
- 3 - لغة الكلام هى التى تعبر عن انقلاب بعض مظاهر اللغة الطبيعية الى معانى .

ان الحقيقة العلمية تؤكد أن القردة العليا لا تتوافر لها اللغة الوضعية بأى حال من الاحوال . وهذه اللغة تعبر عن الرموز والاشارات المتفق عليها لا سيما علم الرياضيات والموسيقى . ولا نشك أن ظهور اللغة عند الانسان تعد فى نظر علماء الانسان من الظواهر المحيرة والمعقدة التى لم يجد لها العلماء تبريرا علميا وجوابا كافيا . ويقول العالم الفرنسى غوسدروف جورج : « ليس هناك ما هو أكثر غرابة من ظهور اللغة عند الانسان . فالتشريح والفزيولوجيا لا يقدمان هنا الا تفسيرات جزئية وغير كلية ، واذا كان هناك عالم أجنبى عن كوكبنا واكتفى بفحص جثث الانسان والقردة الراقية فانه قد لا يميز هذا الفرق الاساسى بين الانسان والشامبانزى اللذين بين عضويتهم مشابهات كثيرة . وهو من جهة أخرى لا يكتشف أن وظيفة الكلام موجودة عند الانسان ومنعدمة عند القرد الراقى اذا كان يجهل ذلك » (140) ومن هنا نقول : ان اللغة الوضعية هى الحد الحاسم بين الانسان والحيوان . فالحيوانات تعبر عن حاجاتها بواسطة أصوات وان هذه اللغة الطبيعية تشمل جميع الانفعالات لسارة والاليمة التى تلاحظها عند الحيوان كسهيل الفرس عند الجوع أو الاستئناس ، أو نباح الكلب اذا جاع أو رأى انسانا غريبا عن أهله . ونحن نشترك مع الحيوانات فى هذه اللغة الطبيعية الفطرية التى تصحب الانفعالات والظواهر الجسدية الطبيعية كالأحمرار والأصفرار فى الوجه والارتعاش

(140) أنظر : المختار من النصوص الفلسفية ، ص 165 لمحمود يعقوبى .

فى المواقف الحرجة ، أو البكاء والصراخ والضحك والهروب
اللا ارادى فى حالة الانفعال الشديد .

9 - خصائص لغة الانسان :

ومهما يكن من أمر فلفنة الانسان لها وظيفة عقلية
تجريدية بالدرجة الاولى . أما لغة الحيوان فوظيفتها بيولوجية
عضوية مرتبطة ببعض الاصوات التى تعبر عن دوافعها فى
الوقت الحاضر ، ومجالها محدود جدا . وان عجز الحيوانات
الراقية عن الكلام لا يعود الى الجانب التشريحي والفزيولوجى
فى حناجرها أو دماغها ، بل العلة تكمن فى عدم تجريدتها
وتصورها وحفظها للفكرة ، يقول أحد العلماء : « ان عجز
القردة عن الكلام لا يرجع الى ضعف فى حناجرها يعجزها عن
الكلام بل السبب هو نقص فى تخيلها أى فى مستواها العقلى
ولذا فان أحد القردة لم يستطع أن يتعلم لفظ - بابا - الا
بعد ستة أشهر من الجهد كما يقول لوريمر وبخصوص تعليم
الشمبانزى البالغ وجد أن قدراته اللغوية تساوى ما عند
طفل عمره سنة واحدة » (141) .

وانطلاقا من هذا نستنتج أن لغة الانسان تكمن فى الفكرة
والقدرة على خلق الاشارات ، ثم استعمالها للتواصل بين
أفراد المجتمع البشرى . ولا أدل على ذلك لغة الرياضيات
التي تتميز بالتجريد . هذه اللغة الرمزية تتخاطب بها
الانسانية رغم تباين ثقافتها ولغتها واتجاهاتها الدينية

(141) انظر بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل ، لصالح الشماع ، ص 45 .

والسياسية وصدق من قال : « ان لغة الانسان تعد كلمة السر للدخول فى الحضيرة الانسانية » .

غير أن هذه الظاهرة الذهنية ، تعد جزءا من النشاط الفكرى الكلى الذى يتمتع به الانسان . ولاشك أن الانسان تصدر عنه أنشطة متنوعة أخرى كالظاهرة الشعورية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية ... الخ . هذه الخصائص تميزه عن عالم الحيوان .

وحسبنا أن نقول : ان هناك اختلافا وتباينا جدا بين الانسان والحيوان . وهذا الامر لا يكمن فقط فى المجال الفيزيولوجى فقط ، بل يتعداه الى المجال الفكرى والثقافى والاخلاقى والاجتماعى ، فالانسان هو الحيوان الوحيد الذى يوصف بالنطق والصنع . ان هذه الخصائص التى ذكرناها لا توجد ولن توجد فى الحيوانات العليا ، مهما بلغ تطورها الفيزيولوجى . ولقد صدق الله عز وجل فى قوله الكريم :
« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا »
(الاسراء : 70) .



الخاتمة :

بعد هذه الدراسة والتحليل ، لاسس المدرسة الداروينية في نظرية التطور وأصل الانسان ، تبين لنا أن هذه النظرية لا تقف على دعائم قوية ، وأن نتائجها لا تزال احتمالية الى حد كبير .

ولقد التزمنا بالامانة العلمية التي تتطلب الحقيقة دون سواها ، فناقشنا القرائن التي بسطها المذهب الدارويني بالادلة المنطقية ، ثم حرصنا على عدم الاطالة والاسهاب على حساب الموضوع . ولقد استدللنا بالادلة العلمية والنصوص الفلسفية ثم استشهدنا بالآيات القرآنية عندما يقتضى الامر في مكانه ، وقدمنا الدليل العقلي قبل النقلى احتراماً لرأى غيرنا - أى داروين - الذى تجلت فيها روح البحث والسعى وراء الحقيقة والتزم بأخلاقيات الروح العلمية ، وقد اعترف بالثغرات والنقائص الموجودة فى مذهبه ، يقول مثلاً فى فقر المجموعات الحفرية ما يلى : « أما القول بأن مجموعتنا الجيولوجية ناقصة ، فحقيقة لا ينكرها أحد من الباحثين ، على أنه من سوء الحظ أن ليس لدينا من الوسائل ما نستطيع به

أن نحكم حكما قاطعا وفقا لمقياس السنين ، وكم من الزمن يقتضيه تحول من الانواع « (142) .

والواقع أن الفكر الدارويني يصطدم بعدة حجج التي وضعناها في هذا الكتاب ، وان الانسان هو الحيوان الوحيد الصانع الذي يتميز على بقية الحيوانات الاخرى بالتجريد ، وأظهرت هذه الدراسة التحليلية بكل وضوح ، أن القرآن الكريم قد بين أن الانسان قد خلق مستقلا من أول مرة . وصوره في أحسن صورة . ولكن كيف بدأت عملية الخلق ؟ وكم دامت المدة الزمانية ؟ فان هذا الامر في نظري يتعدى حدود المعرفة البشرية ، ولا يمكن أن نجد له الجواب الحاسم .

وحسبنا أن نقول : ان الفجوة المفتعلة بين العلم والدين ليس لها وجود في الاسلام . وان القرآن سيظل هو الحل الحاسم لمشاكل الوجود والانسان .

وأخيرا ينبغي أن أشير الى أن هذا البحث الموجز ، لا يخلو من بعض الثغرات ، نظرا لطبيعة المشكل المعقد . وان طاقة الانسان مهما كانت ستبقى محدودة كما أرجو أن أكون قد قدمت تحليلا منطقيا ، ومقبولا عند القراء حول هذه المشكلة التي أثرت في الثقافة المعاصرة . واننى لأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة الميسرة التي تخدم الفكر الاسلامي ، والله نسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ... وبالله وحده التوفيق .

غارداية : 20 أوت 1983 م .
الاستاذ بكير بن سعيد أعوش

(142) أنظر : اصل الانواع ، ص 557 .

مصادر البحث

- القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس لافاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي .
- الاسلاميات لعباس محمود العقاد - المجلد الرابع ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- أصل الانواع لتشارلز داروين ، ترجمة اسماعيل مظهر - مكتبة النهضة - بيروت - بغداد .
- الاقتصاد السياسي لعزى رجب - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة .
- الانسان لجان روستان ترجمة محمد عبد الرحمن مرجبا - المكتبة الفلسفية - بيروت - الطبعة الاولى .
- بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل لصالح الشماع - طبع بمطبعة حداد - البصرة - سنة 1967 .
- تاريخ العلوم عند العرب لعمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة .
- التطور والثبات فى حياة البشرية لمحمد قطب - مكتبة وهبة - القاهرة .
- الجفوة المفتعلة بين العلم والدين لمحمد على يوسف - مكتبة الحياة - بيروت - الطبعة الاولى .

- الجيولوجيا لعبد الملك الخيال - الطبعة الخامسة - المملكة العربية السعودية .
- علم الانسان لمحمد على محمد - دار الجامعات المصرية طبع سنة 1970 .
- العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر لمحمد سعيد رمضان البوطي - مطبعة جامعة دمشق سنة 1982 .
- العلوم الطبيعية فى القرآن الكريم - ليوسف مروة - منشورات مروة العلمية - الطبعة الاولى سنة 1968 .
- القرآن محاولة لفهم عصرى لمصطفى محمود - دار المشروق - بيروت 1970
- كتاب المعرفة : الحيوان والشعوب والسكان ، شركة انماء والنشر والتسويق - بيروت - الطبعة الثانية .
- المكتبة العلمية - الارض لآرثر بيزر - ترجمة محمد جمال الدين الفندى
- المكتبة العلمية - البحر ليونارد انجيل ، ترجمة عزت خيرى .
- الموسوعة السوفياتية ، اشراف م . روزنتال ي . يودين ، ترجمة سمير كرم - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت .
- الموسوعة العربية الميسرة - دار القلم - القاهرة .
- موجز تاريخ العالم لـ هـ . جـ . ويلز ترجمة عبد العزيز توفيق - مكتبة النهضة المصرية سنة 1958 .
- المنطق وفلسفة العلوم لبول موى ترجمة فؤاد حسن زكريا - الناشر دار نهضة مصر .
- المادية الديالكتيكية والتاريخية لستالين - دار دمشق للطباعة والنشر .
- المادية التاريخية لـ فـ . كيللى و مـ . كفولزون - ترجمة احمد داود - داز الجماهير - دمشق .

- موسوعة العلماء والمخترعين لابراهيم بدران ومحمد أسعد فارس -
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الاولى سنة 1978 •
- المختار من النصوص الفلسفية لمحمود يعقوبى - الطبعة الاولى 1971
الجزائر •
- الوراثة لجوديث راندال ترجمة حسين فهمى فراج - الطبعة الثانية -
دار المعارف بمصر •
- الدوريات :
- 1 - الدوحة - العدد 82 أكتوبر 1982 م •
- 2 - الشعب - العدد 5905 - 23 أكتوبر 1982 م •
- 3 - الشعب - العدد 5914 - 2 نوفمبر 1982 م •
- 4 - العربى - العدد 284 - يوليو 1982 م •
- 5 - العربى - العدد 286 - سبتمبر 1982 م •
- 6 - العلم والايمان - العدد 42 - حزيران 1979 م •

الفهرس

7	الاهداء
11	المقدمة
15	المدخل العام الى البحث
16	أ - داروين وولاس يرفضان الفكر المادى
18	ب - بعض الاقلام الاسلامية وداروين
22	ج - نظرية داروين ومشكلة الخلق
25	د - الاجتهاد ومعالجة القضايا العلمية محور أصيل وضرورى فى الفلسفة الاسلامية

الفصل الاول

	أضواء على مفاهيم التطور والرد على المفهوم الماركسى
29	أ - دلالة التطور لغة واصطلاحاً
29	(1) التطور لغة
29	(2) التطور اصطلاحاً
30	(3) مفهوم التطور فلسفياً
31	(4) المفهوم الاكاديمى للتطور
32	ب - نظرية التطور وعلاقتها بالعلوم الاخرى
32	(1) نظرية التطور والجيولوجيا
33	(2) كيف يتم أعمار المواد الجامدة والحية ؟
34	(3) نظرية التطور والعلوم الانسانية
37	ج - المفهوم الاسلامى لفكرة التطور والثبات فى حياة البشرية
38	(1) الماركسية والتطور
39	(2) نقد الاساس الذى أقيمت عليه الفلسفة المادية
41	(3) اخلاق المجتمع وتطورها من وجهة الماركسية
42	(4) مناقشة مفاهيم الماركسية لاسس تطور المجتمعات واخلاقها من الوجهة الاسلامية

الفصل الثانى

نظريات المدارس التطورية ، وأدلتها ، ومناقشتها

طبيعة الوظيفة الوصفية ، والتفسيرية فى المدرسة اليونانية والاسلامية

أ - نظرية لامارك

(1) تحليل أسس نظرية لامارك

(2) تقسيم النظرية ومناقشتها

ب - نظرية داروين

(1) التعريف بصاحب النظرية

(2) حياته الثقافية

(3) العوامل المؤثرة فى فكر داروين

(4) مالتوس وداروين

(5) الوراثة وعلاقتها بالتنوع

(6) خلاصة أسس النظرية الداروينية

(7) تقييم ومناقشة نظرية داروين

ج - الداروينية الحديثة

أ) نظرية الطفرة

ب) أسس المدرسة الداروينية الحديثة

ج) مناقشة أسس المدرسة الداروينية الحديثة

د) ماذا تبقى من نظريات التطور ؟

الفصل الثالث

قرائن المدرسة الداروينية فى قصة نشأة الانسان وتطوره

أ) قصة نشأة الانسان وتطوره

ب) أدلتها

الدليل الاول : من علم الاحافير والجيولوجيا

رأى داروين فى السجل الجيولوجى

الجدول العام للزمن الجيولوجى

الدليل الثانى : من الجغرافية الحيوية

- 81 **الدليل الثالث : من الاعضاء الاثرية**
 83 **الدليل الرابع : من علم التصنيف**
 84 **الدليل الخامس : من علم الاجنة**
 86 ج - الانسان فى المملكة الحيوانية
 (1) هل صحيح ان الانسان العاقل قد نشأ وتطور من القروذ العليا ؟
 87 (2) المدرسة الداروينية والحلقة المفقودة
 88 د - مراحل تطور العائلة الانسانية
 89 (1) ظهور الانسان وعمره الزمانى
 89 (2) الجدول العام لتطور اسلاف الانسان
 90 هـ - علم الانثروبولوجيا وظهور الانسان الحديث
 92 (1) انسان نياندرتال
 92 (2) انسان جاوه وبكين
 93 (3) الانسان الروديسى
 93 (4) الملامح العامة عن ظهور الانسان الحقيقى
 94

الفصل الرابع

- الانسان فى القرآن الكريم والرد على المدرسة الداروينية
 100 أ - قصة الخلق والتكوين فى القرآن
 100 (1) كرامة الانسان
 100 (2) قصة خلق الانسان وتكوينه
 102 (3) الانسان خلق خلقا مستقلا وفى أحسن صورة
 ب - وجه الاختلاف والتباين بين القرآن الكريم ونظرية التطور فى
 104 قصة خلق الانسان
 104 (1) القرآن الكريم والعلوم البيولوجية
 106 (2) نظرة الداروينية الى أصل الانسان
 107 هل القرآن يشير الى ان هناك بشرا قبل آدم عليه السلام ؟
 (4) نظرة مدرسة محمد عبده الى البشر الذين سكنوا الارض
 107 قبل آدم

- 108 (5) ملاحظة لا بد منها
- 109 ج - نقد التفسير الدارويني لاصل الانسان
- 109 (1) الفرق بين النظرية والقانون العلمي
- 109 (2) الهندسة اللاقليدية ، دليل آخر على اعطاء مفاهيم جديدة للحقيقة
- 110 (3) النظرية الجيولوجية المعاصرة تقلب المفاهيم الداروينية وتنقضها
- 113 (4) الجينات الوراثية عقبه ازاء نظرية داروين
- 115 (5) المؤتمر العالمي لعلماء الآثار والبيولوجيا وسلالات البشرية
- 117 سنة 1982 يفند الحلقة المفقودة لاصل الانسان
- 118 (6) القرود ليس جد الانسان
- 119 (7) الماركسية تستنسر بالداروينية
- 121 (8) اللغة الوضعية هي الحد الحاسم بين عالم الانسان وعالم الحيوان
- 123 خصائص لغة الانسان
- 125 الخاتمة
- 127 مراجع البحث والتحقيق



هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب أسس الفلسفة الداروينية التي تركت أثرا قويا في الثقافة العالمية ، سواء كانت فكرية أو مادية ؛ فهذا البحث يحلل طبيعة هذا المذهب تحليلا نقديا ، مع بيان الفجوات الموجودة في دعائمه ، معتمدا في ذلك على البراهين العقلية ، والأدلة العلمية الأخيرة التي هزت أسس هذا المذهب . ثم يبين هذا البحث رأي الاسلام في قضية التطور وأصل الانسان من وجهة الفكر القرآني الذي اعطى جوابه في هذه المشكلة . ويعذر الكاتب من الفكر المادى الماركسى الذي استنسر بهذه النظرية للتشكيك في سلامة وصحة رسالة الانبياء والرسل عليهم السلام .

فعسى القارئ ان يجد ضالته المنشودة في هذه الدراسة الموضوعية الميسرة .